احلام فترة النقاهة

نجيب محفوظ

حلم 1

أسوق دراجتى من ناحية إلى أخرى مدفوعا بالجوع باحثا عن مطعم مناسب لذوى الدخل المحدود، ودائما أجدها مغلقة الأبواب، وحانت منى التفاتة إلى ساعة الميدان فرأيت أسفلها صديقى، فدعانى بإشارة من يده فملت بدراجتى نحوه واذا به على علم بحالى فاقترح علىّ أن أترك دراجتى معه ليسهل علىّ البحث، فنفذت اقتراحه وواصلت البحث وجوعى يشتد، وصادفنى فى طريقى مطعم العائلات، فبدافع من الجوع واليأس اتجهت نحوه على الرغم من علمى بارتفاع أسعاره، ورآنى صاحبه وهو يقف فى مدخله أمام ستارة مسدلة، فما كان منه إلا أن ازاح الستارة فبدت خرابة ملأى بالنفايات فى وضع البهو الفخم المعد للطعام، فقلت بانزعاج:

- ماذا جرى؟

فقال الرجل:

- أسرع إلى كبابجى الشباب لعلك تدركه قبل أن يشطب، ولم اضيع وقتا فرجعت الى ساعة الميدان، ولكننى لم أجد الدراجة أو الصديق.

حلم 2

دخلنا الشقة.الفتاة فى المقدمة وأنا فى أثرها والبواب يتبعنا حاملاً الحقيبة، الفتاة على صلة بى مؤكدة وكأنها غير محددة. تركنا ترتيب الأشياء ودلفت إلى الشرفة المطلة على البحر سابحاً فى آفاقه غير المحدودة منتعشاً بهوائه الرطيب منتشياً بهديره المتقطع، وإذا بصرخة تنطلق من الداخل فهرعت نحوها فرأيت الفتاة منكمشة مذعورة والنار تشتعل فى أعلى الباب وقبل أن أفيق من الصدمة دخل رجل صلب الملامح كأنما قدت من صخر وبإشارة من يده انطفأت النار وتحول ذاهباً وهو يقول:

- ربما انقطعت المياه بعض الوقت.

وغمرنى الارتياح فلم أبال بشئ.

غادرت الحجرة قاصدا السوبر ماركت لأبتاع بعض التموين المناسب.ولما رجعت وجدت باب الشقة مفتوحا والبواب واقفا فدخلت إلى الحجرة قلقا فوجدتها عارية إلا من بقجة منتفخة بالملابس ملقاة على الأرض وذراع بيجامتى يتدلى من فتحة فى رابطتها ولا أثر للفتاة فسألت:

- ماذا جرى؟

فأجابني البواب:

- حضرتك أخطات الطريق وهذه ليست شقتك فأشرت إلى ذراع البيجاما وقلت:

- هذه بيجامتي.

فقال الرجل بهدوء:

- يوجد من نوعها آلاف في السوق.

وملت إلى الاعتقاد بالخطأ متذكرا أنه توجد ثلاث عمارات متشابهة في صف واحد وهبطت السلم بسرعة وفي الطريق رأيت الفتاة في طرفه المفضي إلى ميدان مكتظ بالسيارات والبشر، فجريت نحوها حتى أدركها قبل أن تذوب في الزحام.

حلم 3

هذا سطح سفينة يتوسطه عامود مقيد به رجل يلتف حوله حبل من أعلى صدره حتى أسفل ساقيه وهو يحرك رأسه بعنف يمنة ويسرة ويهتف من أعماقه الجريحة:

- متى ينتهي هذا العذاب؟

وكان ثلاثتنا ينظرون إليه بإشفاق ويتبادلون النظر في ذهول.

وتساءل صوت:

- من فعل بك ذلك؟

فأجاب الرجل المعذب ورأسه لا يكف عن الحركة:

- أنا الفاعل.

- لماذا؟

- هو العقاب الذي أستحقه.

- عن أي ذنب؟

فصاح بغضب:

- الجهل.

فقلت له:

- عهدنا بك ذو حلم وخبرة.

- جهلنا أن الغضب استعداد فى كل فرد.

وارتفع صوته وهو يقول:

- وجهلت أن أى أنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يَهُن شأنه.

وغلبنا الحزن والصمت.

حلم 4

بهو مترامى الأركان متعدد الأبواب خال من كل شئ فوقف ثلاثتنا فى ركن مكنون، صاحباى يرفلان فى كامل حليتهما حتى رباط العنق على حين اكتفيت أنا بالجلباب المغربى ودون شعور بأى حرج لشدة الألفة التى تجمعنا، سمعت حركة، نظرت فرأيت رجلا لا أدرى من أين جاء فى ملابس رسمية توحى بأنه ممن يشرفون على الحفلات تلففت فى جلبابى وقلت لصاحبى:

- أخاف أن تقام حفلة!

فقالا بالتتابع:

- لا أظن.

- لا أهمية لذلك.

وجدت حركة أخرى فنظرت فرأيت رجلين ماثلين للأول قد انضما إليه فزال كل شك وهربت إلى أقرب باب وفتحته وكأنى وجدت وراءه سداً من جدار البهو فكررت المحاولة مع الأبواب جميعا وخاب مسعاى كالمرة الأولى رجعت إلى صاحبيّ واندسست بينهما كأنما أستتر بهما.

وطمأننى بعض الشئ أن الرجال الثلاثة لم يعيرونا أى التفات.

وتتابعت الحركات وانهمر سيل من المدعوين من كافة النواحى.

وأخذوا يملأون المكان دون أن ينظر نحونا أحد مركزين أبصارهم فى ناحية واحدة فلم نملك إلا أن نفعل فعلهم وبدا فجأة شخص جليل فى هيئة الزعامة فتعالت قعقعات الهتاف. وكلما تقدم الرجل خطوة اشتد الهتاف ولكنهم حذروه فى الوقت نفسه من السير نحو الباب الذى بدا أنه يقصده وقلت لصاحبى:

- سيفتح الباب عن سد لا منفذ فيه.

وتقدم الزعيم وسط هتاف متصاعد وتحذير مستمر حتى فتح الباب ودخل مختفيا عن الأنظار.

حلم 5

أسير على غير هدى وبلا هدف، ولكن صادفتنى مفاجأة لم تخطر لى فى خاطرى فصرت كلما وضعت قدمى فى شارع انقلب الشارع سيركا.

اختفت جدرانه وأبنيته وسياراته والمارة وحل محل ذلك قبة هائلة بمقاعدها المتدرجة، وحبالها الممدُودة، وأراجيحها، وأقفاص حيواناتها، والممثلون والمبتكرون والرياضيون حتى البلياتشو، وشد ما دهشت وسررت وكدت أطير من الفرح، ولكن بالانتقال من شارع إلى شارع، وبتكرار المعجزة، مضى السرور يفتر، والضجر يزحف حتى ضقت بالمشى والرؤية وتاقت نفسى للرجوع إلى مسكنى.

ولكم فرحت حين لاح وجه الدنيا وآمنت بمجئ الفرح. وفتحت الباب فإذا بالبلياتشو يستقبلنى مقهقها.

حلم 6

رن جرس التليفون وقال المتكلم:

- الشيخ محرم أستاذك يتكلم.

فقلت بأدب وإجلال:

- أهلا أستاذى وسهلا.

- إنى قادم لزيارتك.

- على الرحب والسعة.

لم تمسنى أية دهشة، على الرغم من أننى شاركت فى تشييع جنازته منذ حوالى ستين عاما، وتتابعت علىّ ذكريات لاتنسى عن أستاذى القديم فى اللغة فى معاملة التلاميذ، وجاء الشيخ بجبته وقفطانه الزاهيين وعمته المقلوظة وقال دون مقدمات: هناك عايشت العديد من الرواة والعلماء، ومنّ حوارى معهم عرفت أن بعض الدروس التى كنت ألقيها عليكم تحتاج إلى تصحيحات فدونت التصحيحات فى الورقة وجئتك بها.

قال ذلك ثم وضع لفافة من الورق على الخوان وذهب.

حلم 7

ياله من ميدان مترامى الاتساع مكتظ بالخلق والسيارات وقفت على طوار المحطة أنتظر مقدم الترام رقم 3 والوقت قارب المغيب، أريد العودة إلى بيتى على الرغم من أنه لا ينتظرنى أحد، ويهبط المساء وتغلب الظلام على أضواء المصابيح المتباعدة وشعرت بوحشة وتساءلت عن آخر الترام 3، وخفتّ حركة الميدان وقلّ مرور السابلة، حتى كدت أترك وحيدا فى المحطة فى ميدان خال انتظر تراما لا يجئ، وسمعت صوتا خفيضا فنظرت فرأيت على مبعدة يسيرة فتاة ينطق مظهرها بأنها من بنات الليل فازداد شعورى بالوحشة واليأس وسألتنى:

- أليست محطة الترام رقم 3؟

فأجبت بالإيجاب وفكرت فى مغادرة المحطة وإذا بالترام رقم 3 يقترب فى هدوء ولا أحد فيه سوى السائق وقاطع التذاكر وشئ من داخلى دعانى إلى عدم الركوب فوليت الترام ظهرى، ولبثت على حالى حتى غادر الترام المحطة، ونظرت فرأيت الفتاة بموقفها، ولما شعرت بعينى ابتسمت وسارت نحو أقرب منعطف، فتبعتها على الأثر.

حلم 8

عندما أقبلت على مسكنى وجدت الباب مفتوحا على ضلفتيه على غير عادة وجاءتنى من الداخل ضوضاء وأصداء كلام.

دق قلبى متوقعا شراً ورأيت من أحبابى ابتسامات مشفقة، وسرعان ما عرفت كل شئ، خلت الشقة من الأثاث الذى كوم فى ناحية داخل المكان. عمال من متفاوتى الأعمار، منهم من دهن الجدران ومنهم من يعجن المونه ومنهم من يحمل المياه. وهكذا نفذت المكيدة فى أثناء غيابى وذهبت توسلاتى فى الهواء.

وهل أطيق هذا الانقلاب و أنا على تلك الحال من الإرهاق؟

وصحت بالعمال: من أذن لكم بذلك، ولكنهم استمروا فى عملهم دون أن يعيرونى أى اهتمام، وقهرنى الغضب فغادرت الشقة وأنا أشعر بأننى لن أرجع إليها مدى عمرى، وعند مدخل العمارة رأيت أمى مقبلة بعد رحيلها الطويل وبدت مستاءة، وغاضبة، وقالت لى:

- أنت السبب فيما حصل!

فثار غضبى وصحت:

- بل أنت السبب فيما حصل وما سوف يحصل.

وسرعان ما اختفت، ومضيتُ فى الهرب.

حلم 9

على اريكة فى حديقة المنزل الصغيرة جلست أختى تتأمل ضفدعا يسبح فى القناة التى تروى الحديقة: وانتشيت بالنسيم الرقيق وعناقيد العنب المدلاة من التكعيبة.

وسألت أختى ماذا تنتظرين؟

وقبل أن تجيبنى قلت: من الأفضل أن نجلس فى الحجرة لنسمع الفونوغراف وتبادلنا نظرة اختيار، ثم انتقلنا إلى الحجرة وازداد الجو صمتا، وحتى النسيم لم يعد معنا ونظرت إلى أختى، فإذا بها قد تحولت إلى الممثلة السينمائية جريتا جاربو، وهى ممثلتى المفضلة وطرت من السعادة بغير أجنحة وملأ المرور جوانحى غير أن ذلك السحر لم يدم طويلا. وأردت أن أستعيد المعجزة السحرية مرة أخرى ولكن أختى رفضت الذهاب معى، فسألتها عن سبب الرفض فقالت:

- أمى.

فقاطعتها قبل أن تتم عبارتها:

- إنها لا تدرى.

فقالت بيقين:

- إنها تدرى كل شئ.

وشعرت بأن الحزن غشى كل شئ كأنه شابورة مفاجئة.

حلم 10

جمعتنا الصداقة والنشأة وتواعدنا فى تلك الحارة وذيول الليل تهبط. لا هدف لنا إلا الانشراح باللقاء والاستسلام للمزاح والضحك على طريقة القافية.

وتبادلنا النكات وأخذنا نتحول إلى أشباح فى الظلام، وتعارفنا بأصواتنا ولم نكف عن المزاح والقافية وانطلقت قهقهاتنا ترج الجدران وتوقظ النيام. الحارة متعرجة، ونحن نتقارب حتى لا نذوب فى الظلمة، وكلما تمادينا فى الحيرة غالينا فى الضحك، وبدأنا نتساءل حتى نجد خلاصنا فى ميدان أو شارع كبير.

وذكرنا أحدنا بأن الملكة الفرعونية التي أرادت الانتقام من الكهنة الذين قتلوا زوجها دعتهم إلى مكان يشبه هذا الذي يغيطون فيه، وسلطت عليهم المياه، وما كاد يفرغ من حكايته حتى هطلت السماء علينا بقوة غير معهودة، وأسكتنا الرعد ومضت المياه ترتفع حتى غطت أقدامنا وزحفت على سيقاننا وشعرنا بأننا نغرق تحت المطر، في ظلام الليل.

ونسينا نكاتنا وضحكاتنا ولم يعد لنا من أمل في الخلاص إلا أن نطير في الفضاء.

حلم 11

في ظل نخلة على الشاطئ استلقت على ظهرها أمرأة فارعة الطول ريانة الجسد وكشفت عن صدرها ونادت. يزحف نحوها أطفال لا يحصرهم العد. وتزاحموا على ثدييها ورضعوا بشراهة غير معهودة، وكلما انتهت جماعة أقبلت أخرى وبدا أن الأمر أفلت زمامه وتمرد على كل تنظيم. وخيل إليّ أن الحال تقتضي التنبيه أو الاستغاثة ولكن الناس يغطون في النوم على شاطئ النيل. وحاولت النداء ولكن الصوت لم يخرج من فمي وأطبق على صدري ضيق شديد. أما الأطفال والمرأة فقد تركوها جلدة على عظم ولما يئسوا من مزيد من اللبن راحوا ينهشون اللحم حتى تحولت بينهم إلى هيكل عظمي. وشعرت بأنه كان يجب علي أن أفعل شيئا أن أكثر من النداء الذي لم يخرج من فمي وأذهلني أن الأطفال بعد يأس من اللبن واللحم التحموا في معركة وحشية فسالت دماؤهم وتخرقت لحومهم. ولمحني بعض منهم فأقبلوا نحوي أنا لعمل المستحيل في رحاب الرعب الشامل.

حلم 12

في الجو شئ مثير للأعصاب، فهو من عدة نواح تبرز رؤوس وتختفي بسرعة. وجرت شائعة مثل الشهاب تنذر بوقوع الحرب. وترددت كلمة الحرب على الألسنة، وعمت الحيرة والانزعاج ورأيت من يحمل تموينا لتخزينه. وجعلت أتذكر تلك الأيام المكدرة، هل نبقى أم نهاجر؟ ولكن إلى أين؟ ولذت بمقر المكان الآمن من الخطر وجاء رجل من الأمن وقال صراحة إن الدولة تريد أن تعرف طاقة الأسر على إيواء من يحتاجون إلى إيواء لاسمح الله. وتضاعف الاضطراب وأعلنت أمي وهي تعيش وحدها في بيت كبير أنها على استعداد لإيواء أسرة كاملة، أما أنا فوجدت أننا يمكن الاستغناء عن حجرة واحدة تسع لشخصين، وأصبحت حذرا عند سماع أي صوت أو الإجابة على أي سؤال، وطرق بابي مخبر ودعاني إلى القسم ولما سألته عن سبب الاستدعاء أجاب بخشونة: إنه لايعرف وقطع حديثنا انطلاق صفارة الإنذار.

حلم 13

هذا هو المطار. جوه يموج بشتى الأصوات واللغات. وكن قد فرغن من جميع الاجراءات ووقفن ينتظرن. اقتربت منهن وقدمت إلى كل منهن وردة في قرطاس فضي، وقلت:

- مع السلامة والدعاء بالتوفيق.

فشكرنني باسمات وقالت إحداهن:

- إنها بعثة شاقة ونجاحنا يحتاج إلى أعوام وأعوام.

فأدركت ما تعنى، وغمر الألم قلبى وتبادلنا نظرات وداع صامتة ولاحت لأعيننا مسرات الزمان الأول.

وتحركت الطائرة وجعلت أتابعها بعينى حتى غيبها الأفق.

وحال عودتى الى بهو المطار لم أعد أذكر إلا رغبتى فى الاهتداء إلى مكتب البريد، وكأننى ماجئت إلا لهذا الغرض وحده. وسمعت صوتاً يهمس أنت تريد مكتب البريد؟ فنظرت نحوه ذاهلا فرأيت فتاة لم أرها من قبل فسألتها عن هويتها فقالت بجرأة:

- أنا بنت ريا. لعلك مازلت تذكر ريا وسكينة؟

فقلت وذهولى يشتد:

- إنها ذكرى مرعبة.

فرفعت منكبيها وسارت وهى تقول:

- إن كنت تريد مكتب البريد فاتبعنى.

فتبعتها بعد تردد غاية في العنف.

حلم 14

تربضت على الشاطئ الأخضر للنيل. الليلة ندية والمناجاة بين القمر ومياه النهر مستمرة تشع منها الأضواء. هامت روحى حول أركان العباسية المفعمة بالياسمين والحب. ووجدت نفسى تردد السؤال الذى يراودها بين حين وآخر. لماذا لم تزرنى فى المنام ولو مرة واحدة منذ رحلت؟ على الأقل لأتأكد من أنها كانت حقيقة وليست وهما من أوهام المراهقة. وهل الصورة التى طبعت فى خيالى هى الصورة الحقيقية للأصل؟

وإذا بصوت موسيقي يترامى إليّ من ناحية الشارع المظلم. صارت أشباحا ثم تجلت مع ضوء أول مصباح صادفها في طريقها أدهشنى أنها لم تكن غريبة علي، هى الموسيقى النحاسية التى كثيراً ما استمعت إليها فى صباى ورأيتها تتقدم بعض الجنازات، وهذا اللحن أكاد أحفظه حفظا، أما المصادفة السعيدة غير المتوقعة فهى أن حبيبتى الراحلة تسير وراء الفرقة. هى هى بطلعتها البهية ومشيتها السنية وملامحها الأنيقة، أخيرا تكرمتْ بزيارتى وتركت الفرقة الجنائزية تسير ووقفت قبالتى لتؤكد لى أن العمر لم يضع هدراً، وقمت واقفا منبهرا وتطلعت إليها بكل قوة روحى. وقلت لنفسى إن هذه فرصة لا تتكرر لألمس حبيبة القلب.

وتقدمت خطوة وأحطتها بذراعي ولكني سمعت طقطقة شئ يتكسر وأيقنت أن الفستان ينسدل على فراغ. وسرعان ما هوى الرأس البديع إلى الأرض وتدحرج إلى النهر وحملته الأمواج مثل ورد النيل تاركة إياى فى حسرة أبدية.

حلم 15

بهو رُصّت على جوانبه المكاتب. إنه مصلحة حكومية أو مؤسسة تجارية والموظفون بين السكون وراء مكاتبهم أو الحركة بين المكاتب.

وهم خليط من الجنسين والتعاون فى العمل واضح والغزل الخفيف غير خاف. وأنا فيما بدا من الموظفين الجدد ومرتبى على قد حاله وشعورى بذلك عميق، ولكنه لم يمنعنى من طلب يد فتاة جميلة وهى كموظفة أقدم وأعلى. والحق أنها شكرتنى ولكنها اعتذرت عن عدم الاستجابة لطلبى قائلة:

- لا نملك ما يهيئ لنا حياة سعيدة.

وتلقيت بذلك طعنة نفذت إلى صميم وجدانى.

ومن يومها تحسبت مفاتحة أي زميلة فى هذا الشأن على الرغم من إعجابى بأكثر من واحدة. وعانيت مر المعاناة من العزلة والكآبة. وألحقت بالخدمة فتاة جديدة فوجدت نفسى فى مكانة أعلى لأول مرة. فأنا مراجع وهى كاتبة على الآلة الكاتبة. ومرتبى ضعف مرتبها إلا أنها لم تكن جميلة بل الأدهى من ذلك أنى سمعت همساً يدور حول سلوكها، وبدافع من اليأس قررت الخروج من عزلتى فداعبتها فإذا بها تداعبنى ومن شدة فرحي فقدت وعيى وطلبت يدها، وقالت لى:

- آسفة!

فلم أصدق أذنى وقلت وأنا أتهاوى:

- مرتبى لا بأس به بالإضافة إلى مرتبك.

فقالت بجدية:

- المال لا يهمني.

وهممت أن أسالها عما يهمها حقا ولكنها ذهبت قبل أن أنطق.

حلم 16

هنأني الطبيب المساعد على نجاح العملية. عقب إفاقتي من التخدير أشعر بارتياح عميق وبسعادة النجاة الصافية. دخلت الحجرة فجاءت الممرضة بكرسي وجلست مقتربة برأسها من رأسي. تأملتني مليا ثم قالت لي بهدوء شديد:

- طالما كانت أمنيتي أن أراك راقدا بلا حول ولا قوة!

قالت باحتقار وحقد:

- جاء وقت الانتقام.

وقامت وغادرت الحجرة تاركة إياي في دوامة من الحيرة والقلق والخوف، كيف تتصور تلك المرأة أنني أسأت إليها على حين أنني أراها لأول مرة في حياتي، وجاء الطبيب الجراح ليلقي على نظرة فتشبثت به قائلا:

- أدركني يا دكتور فإن حياتي في خطر!

فأصغى إليّ وأنا أقص عليه ما جرى. وأمر بعرض الممرضات المكلفات بالخدمة في العنبر علي ولكني لم أعثر على الممرضة بينهن.

وغادرني الدكتور وهو يقول:

- أنت هنا في كامل الرعاية!.

ولكن صورة الممرضة لم تفارقني.

ولم تغب عني الوساوس.

وكل من دخل الحجرة نظر إليّ بغرابة كأنني أصبحت موضع تساؤل وشك. وتراءى أمام عيني طريق طويل ملئ بالمتاعب.

حلم 17

تواصلت أحياء الجمالية والعباسية وأنا أسير وكأنني أسير في مكان واحد. وخيل إليّ أن شخصا يتبعني، فالتفت حلفي ولكن الأمطار هطلت بقوة لم نشهدها منذ سنين ورجعت إلى مسكني مهرولاً. وشرعت أخلع ملابسي ولكن شعوراً غريباً اجتاحني بأن شخصاً غريباً مختف في المسكن، واستفزني استهتاره، فصحت به أن يسلم نفسه وفتح باب حجرة الاستقبال، وبرز رجل لم أر مثيلاً في مساحته وقوته وقال بهدوء وسخرية: سلم أنت نفسك.

وملكني إحساس بالعجز والخوف وأيقنت أن ضربة واحدة من يده كفيلة بسحقي تماماً أما هو فأمرني بتسليمه محفظتي ومعطفي وكان المعطف يهمني أكثر ولكني لم أتردد إلا قليلاً وسلمته المعطف والمحفظة. ودفعني فألقاني أرضاً. ولما قمت كان قد اختفى وتساءلت هل أنادي وأستغيث.

ولكن ما حدث مهين ومخجل وسيجعلني نادرة ونكتة فلم أفعل.

وفكرت في الذهاب إلى القسم ولكن ضابط المباحث كان من أصحابي وستذاع الفضيحة بطريقة أو بأخرى.

وقررت الصمت ولكني لم أسلم من الوساوس.

وخفت أن أقابل اللص في مكان ما وهو يسير هانئا بمعطفي، ونقودي.

حلم 18

وتم مجلسنا على الجانبين في القارب البخاري، بدا كل واحد وحده لا علاقة له بالآخرين، وجاء الملاح ودار الموتور. الملاح فتاة جميلة، ارتعش لمرآها قلبي. أطللت من النافذة وأنا واقف تحت الشجرة وكان الوقت بين الصبا ومطلع الشباب، وركزت عيني رأسي في رأسها النبيل وهي تمرق بنا في النهر، وتتناغم خفقات قلبي مع دفقات النسيم وفكرت أن أسير إليها لأرى كيف يكون استقبالها لي.

لكني وجدت نفسي في شارع شعبي لعله الغورية وهو مكتظ بالخلق في مولد الحسين ولمحتها تشق طريقها بصعوبة عند إحدى المنعطفات فصممت على اللحاق بها.

وحيا فريق من المنشدين الحسين الشهيد.

وسرعان ما رجعت الى مجلسي في القارب وكان قد توغل في النهر شوطا طويلاً. ونظرت إلى مكان القيادة فرأيت ملاحاً عجوزا متجهم الوجه. ونظرت حولي لأسأل عن الجميلة الغائبة ولكني لم أر إلا مقاعد خالية.

وقمت لاسأل العجوز عن الجميلة الغائبة.

حلم 19

انبهرت بالشقة الجديدة بعد تسلمها، ففحصت كل موضع بنظراتي، امتلأت جوانحي بالسعادة وقلت لنفسي من الآن يحق لي أن اشغل وظيفة، وعليّ أن أسعى إليها دون تأخير.

وذهبت الى السوق، المكان واسع المساحة، مسور بسور من البناء المتين، وأظهرت أوراق ملكية الشقة فسمحوا لي بالدخول.

المكان مكتظ بالخلق، لمحت وجوها أحببتها كثيرا ولكنهن جميعاً كن متأبطات أذرع رجالهن، وذهبت إلى النافذة المقصودة وقدمت أوراقي وفي مقدمتها أوراق ملكية الشقة الجديدة، وفحصها الرجل وسجلها وقال لي: لا توجد الآن وظائف خالية، وسوف نتصل بك، في الوقت المناسب.

شعرت بخيبة أمل وشعرت بأنني سأنتظر طويلاً ورجعت مخترقا الجموع ومتأملاً بعجلة الوجوه الجميلة التي أحببتها في الماضي، ولبثت في الشقة وحدي، وفي الطريق سمعت رجلاً يقول بصوت جهير: لا معنى لأن يملك شخص شقة دون أن يشغل وظيفة. الأولى أن يتركها لغيره ممن يحظون بفرص أكثر لشغل وظيفة. وكأنه يعنيني بقوله، وما دامت الفكرة وجدت فقد تتحول إلى واقع.

وساورني الشك والهم، وانتظرت ما يخبئه الغد بعين قلقة مؤرقة.

حلم 20

خرجنا باحثين عن مكان طيب نمضي فيه بعض الوقت. ونظرنا إلى الهلال ثم تبادلنا النظر. ورأيت على ضوء المصباح رجلا عملاقا لم تر العين مثله أرسل عموداً لا مثيل لطوله نحو الهلال حتى بلغ طرفه. وراح بحركة ماهرة يفرد طيات نوره حتى استوى بدراً وسمعنا أصوات تهليل فهللنا معها وقلت إنه لم يحدث مثل هذا من قبل فصدقت على قولي، وانساب النور على الكون رفعني على سطح الماء فهتفت: ليلة قمرية. فقلت: القارب يدعونا. وركبنا ونحن في غاية السرور، وغنى الملاح: رايداك والنبي رايداك. واسكرنا الفرح فاقترحت أن نسبح حول القارب وخلعنا ملابسنا ووثبنا إلى الماء وسبحنا ونحن في غاية الامتنان ولكن القمر تراجع فجأة إلى الهلال واختفى الهلال. انزعجنا انزعاجا لم نعرف مثله من قبل، ولكنني شعرت بأنه يجب مراجعة الموقف بما يتطلبه من جدية فقلت ونحن غارقان في الظلام: لنسبح نحو القارب. فقالت: وإذا ضللنا الطريق؟ فقلت:: نستطيع أن نسبح حتى الشاطئ. فقالت: سنكون عاريين على الشاطئ. فقلت: فليؤجل التفكير في ذلك.

حلم 21

الشارع الجانبي لا يخلو من مارة وأناس في الشرفات، والسيدة تسير على مهل وتقف أحيانا أمام معارض الأزياء.

يتعرض لها أربعة شبان دون العشرين، تتجهم في وجوههم وتبتعد عن طريقهم، ينقضون عليها ويعبثون بها، تقاوم والناس تتفرج دون أي مبادرة. الشبان يمزقون ثوبها ويعرون أجزاء من جسدها. السيدة تصوت مستغيثة، راقبت ما حدث فتوقفت عن السير وملكني الارتياع والاشمئزاز ووددت أن أفعل شيئا أو أن يفعله غيري ولكن لم يحدث شئ، وبعد أن تمت المأساة وفر الجناة. جاءت الشرطة. وتغير المكان فوجدت نفسي مع آخرين أمام مكتب الضابط، واتفقت أقوالنا، ولما سئلنا عما فعلناه كان الجواب بالسلب. وشعرت بخجل وقهر، وكانت يدي ترتجف وهي توقع بالإمضاء على المحضر.

حلم 22

كنا في حجرة المكتب مشغولين ونظر إلي وجهي وقال: إنك مشغول البال، فقلت له بإيجاز وإعياء: الدواء. فقال أفهم ذلك وأقدره وأحمد الله الذي نجني من مخالبه، فسألته كيف نجا مما لا نجاة منه؟ فقال: لي صديق له أخ صيدلي فلما عرف شكواي أكد لي أنه يملك الحل. وعرف مني الأدوية اللازمة لي ولأسرتي شهريا وعرضها على أخيه الصيدلي فجاءنا بمثيل لها بأقل من عشر الثمن.

فسألته عن مدى الخطورة في العملية فطمأنني وحدثني طويلا عن أساليب شركات الأدوية حتى أذهلني وأزعجني، ولم أتردد فكتبت له قائمة بالأدوية اللازمة لي شهريا وأنا أشعر بارتياح عميق. وإذا به يقول لي: ولكني أريد منك خدمة في مقابل ذلك فأبديت استعدادي لأداء ما يطلب. فقال: أنا يزعجني الهجوم على الروتين الحكومي والبيروقراطية، وتأثر الحكومة بما يقال وبما يكتب، وأريد منك أن تكرس قلمك للدفاع عن الروتين والبيروقراطية. فدهشت وسألته عن سر حماسه لما أجمع الناس على نقده ورفضه فقال غاضبا: يا أخي ما قيمة الموظف أمام الجمهور من غير الروتين والبيروقراطية.

ودار رأسي حيرة بين الأدوية والروتين.

حلم 23

أسير في الشارع وأنا على بينة من كل مكان فيه، فهو عملي ونزهتي، وأصحابي وأحبائي، أحيي هذا وأصافح ذاك، غير أني لاحظت أن رجلاً يتعداني بمسافة غير طويلة وغير قصيرة، وبين كل حين وآخر يلتفت وراءه كأنما ليطمئن إلى أني أتقدم وراءه. لعلي لم أكن أراه لأول مرة، ولكن على وجه اليقين لا تربطني به معرفة أو مودة، وضايقني أمره فاستفزني إلى التحدي. أوسعت الخطى فأوسع خطاه، أدركت انه يبيت أمرا فازددت تحديا، ولكن دعاني صديق إلى شأن من شئوننا فملت إلى دكانه وانهمكت في الحديث فنسيت الرجل وأنهيت مهمتي بعد الأصيل فودعته ومضيت في طريق سكني، وتذكرت الرجل، فالتفتُ خلفي فرأيته يتبعني على نفس طبيعته. تملكني الانفعال، وكان بوسعي أن أقف لأرى ماذا يفعل ولكني بالعكس وجدت نفسي أسرع وكأني أهرب منه، وأخذ يساورني القلق وأتساءل عما يريد. ولما لاح لي مسكني شعرت بالارتياح وفتحته ودخلت دون أن أنظر خلفي، ووجدت البيت خاليا فاتجهت نحو غرفة نومي ولكني توقفت بإزاء شعور غريب يوحي إليّ بأن الرجل في داخل الحجرة.

حلم 24

قررت إصلاح شقتي بالإسكندرية بعد غياب ليس بالقصير، وجاء العمال وفي مقدمتهم المعلم وبدأ العمل بنشاط ملحوظ، وحانت مني التفاتة إلى شاب منهم فشعرت بأنني لا أراه لأول مرة، وسرت في جسدي قشعريرة عندما تذكرت أنني رأيته يوما في شارع جانبي يهاجم سيدة ويخطف حقيبتها ويلوذ بالفرار، ولكني لم أكن على يقين وسألت المعلم عن مدى ثقته بالشاب دون ان أشعر الشاب بذلك فقال لي المعلم:

- إنه مضمون كالجنيه الذهب، فهو ابني وتربية يدي، واستقر قلبي إلى حين، وكلما وقع بصري على الشاب انقبض صدري، وطلبا للأمان فتحت إحدى النوافذ المطلة على الشارع الذي يعمل فيه كثيرون ممن أعرفهم ويعرفونني ولكني رأيت حارة الجراج التي تطل عليها شقتي بالقاهرة فعجبت لذلك وازداد انقباضي، وجرى

الوقت واقترب المساء فطالبتهم بإنهاء عمل اليوم قبل المساء لعلمي بأن الكهرباء مقطوعة بسبب طول غيابي عن الشقة.

فقال الشاب: لا تقلق. معي شمعة. فساورني شك بأن الفرصة ستكون متاحة لنهب ما خف وزنه وبحثت عن المعلم فقيل لي أنه دخل الحمام وانتظرت خروجه وقلبي يتزايد، وتصورت أن غيابه في الحمام مؤامرة، وأنني وحيد في وسط عصابة، وناديت على المعلم ونذر المساء تتسلل إلى الشقة.

حلم 25

رأيتها في الحجرة معي، ولا أحد معنا، فرقص قلبي طربا وسعادة، وكنت أعلم أن سعادتي قصيرة، وأنه لن يلبث أن يفتح الباب ويجئ أحد. وأردت أن أقول لها إن جميع الشروط التي أبلغت بها على العين والرأس، ولكن تلزمني فترة من الزمن ولكني فتنت بوجودها فلم أقل شيئ، وناديت رغبتي فخطوت نحوها خطوتين، لكن الباب فتح ودخل الأستاذ وقال بحدة إنك لا تفهم معنى الوقت واقتلعت نفسي، وتبعته إلى معهده القائم قبالة عمارتنا، وهناك قال لي: أنت في حاجة إلى العمل عشر ساعات يوميا حتى تتقن العزف. ودعاني للجلوس أمام البيانو فبدأت التمرين وقلبي يحوم في حجرتي، وسرعان ما انهمكت في العمل. وعندما سمح لي بالذهاب كان المساء يهبط بجلاله. وبادرت أعبر الطريق على عجل. ولكن لم يكن ثمة أمل في أن تنتظرني مدة غيابي. وإذا برجل صيني طويل اللحية بسام الوجه يعترض سبيلي ويقول: كنت في المعهد وأنت تعزف، ولا شك عندي أنه ينتظرك مستقبل رائع وانحنى لي وذهب وواصلت سيري وأنا مشفق مما ينتظرني في مسكني من وحشة.

حلم 26

جمعنا مقهى بلدي، وقص علينا صاحبي قصة بوليسية من تأليفه. وقبيل الختام دعانا إلى الكشف عن القاتل. ومن يفز يُعفى مِن دفع ثمن طلبه، ووفقت إلى الإجابة الصحيحة وسعدت بذلك غية السعادة. وبعد ساعة استأذنت في العودة إلى بيتي. ولانشغالي بنجاحي تهت فسرت في طرق حتى وجدت نفسي أخيرا أمام المقهى مما أثار ضحك الجميع، وتطوع أحدهم فأوصلني إلى بيتي وودعني وانصرف .

وبيتي مكون من طابق واحد وحديقة صغيرة وشرعت في خلع ملابسي ولما صرت بملابسي الداخلية لاحظت أن خطًا من التراب يتساقط من أحد أركان الغرفة. وكان هذا المنظر قد ورد في القصة التي ألفها صاحبنا وكان نذيرا بسقوط البيت على من فيه فبكيت أن بيتي الصغير سينقض فوق رأسي. وملكني الفزع فغادرت البيت بسرعة ولهوجة واستزادة في الأمان انطلقت بعيدا عن البيت بأقصى سرعة في الهواء الطلق.

حلم 27

في سفينة عابرة للمحيط أجناس من كل لون ولغات شتى. وكنا نتوقع هبوب ريح وهبت الريح واختفى الأفق خلف الأمواج الغاضبة إني ذعرت ولكن أحدا لم يكن يعني بأحد. وقال لي خاطر إنني وحيد في أعماق المحيط. وأنه لا نجاة من الهول المحيط إلا بأن يكون الأمر كابوسا وينقشع بيقظة دافئة بالسرور. والريح

تشتد والسفينة كرة تتقاذفها الأمواج. وظهر أمامي فجأة حمزة أفندي مدرس الحساب بخيزرانته وحدجني بنظرة متسائلة عن الواجب. كان الإهمال الواحد بعشرة خيرزانات تكوي الأصابع كيا. وازددت كرهاً من ذكريات تلك الأيام. وقال لي الرجل سوف تكتب (...............) وهممت بدق عنقه ولكني خفت أن يكون أي خطأ سببا في هلاكي فسكت على الذل وتجرعته رغم جفاف ريقي. ورأيت حبيبتي فهرعت نحوها أشق طريقا بين عشرات المذهولين. ولكنها لم تعرفني وتولت عني وهي تلعن ساخطة وجرت نحو حافة السفينة ورمت بنفسها في العاصفة واعتقدت أنه تبين لي طريق الخلاص فجريت متعثرا نحو حافة السفينة ولكن مدرس الحساب القديم اعترض سبيلي ملوحا بعصاه.

حلم 28

تتحلق المستديرة والنقود تذهب وتجئ أما الفتاة فكانت تقوم بالخدمة وتقديم المشروبات وأحيانا السندوتشات. وابتسم لي الحظ فربحت عددا من الجنيهات يعد كبيرا في مجالنا المحدود وشعرت بدوار خفيف فأعلنت أنني سأنسحب، وعلى أن أحدا لم يصدق عذري إلا أنني انسحبت وعند ذلك اتهم أحد اللاعبين الفتاة بأنها كانت تكشف لي خفية عن بعض أوراق اللعب فغضبت الفتاة كما غضبت أنا احتجاجا على التهمة البطالة وقام الرجل ومعه أخران ونزعوا ثياب الفتاة حتى تبدت عارية وهي تصرخ وتهدد بإبلاغ الشرطة عن الشقة التي تدار للمقامرة وغيرها من المحرمات فسرعان ما عاد كل إلى مجلسه وساعدت الفتاة على ارتداء ملابسها وغادرت المكان إلى مسكني القريب.

وجلست أستريح فإذا بالفتاة تحضر وأخبرتني أن المجموعة غاضبة وزادها السكر غضبا وتهدد باقتحام مسكني وإشعال فضيحة في الحي كله ونصحتني أن أرد ما ربحته حلا للمشكلة ولكني قلت لها أنهم سيعتبرون ذلك اعترافا بجريمة لم نرتكبها، فقالت إن ذلك أهون مما يعتزمون ارتكابه وأذعنت لرأيها وسلمتها النقود وذهبت بها.

وعاد الهدوء لليل ولكني لم أزل أتوقع فضيحة أو شرا من ذلك.

حلم 29

المكان جديد لم أره من قبل. لعله بهو في فندق وقد جلس الحرافيش حول مائدة. وكانوا يناقشونني حول اختيار أحسن كاتبة في مسابقة ذات شأن، وبدا واضحا أن الكاتبة التي رشحتها لم تحز أي قبول. قالوا إن ثقافتها سطحية. وإن سلوكها غاية في السوء وعبثا حاولت الدفاع، ولاحظت أنهم ينظرون إلي بتجهم غير معهود وكأنهم نسوا عشرة العمر. وتحركت لمغادرة البهو فلم يتحرك منهم أحد وأعرضوا عني بغضب شديد، سرت نحو المصعد ودخلت وأنا أكاد أبكي. وانتبهت إلي أنه توجد معي امرأة في ملابس الرجال ذات وجه صارم. قالت إنها تسخر بما يسمونه صداقة وإن المعاملة بين البشر يجب أن تتغير من أساسها. وقبل أن أفكر فيما تعنيه استخرجت مسدسا من جيبها ووجهته إلي مطالبة إياي بالنقود التي معي. وتم كل شئ بسرعة ولما وقف المصعد وفتح بابه أمرتني بالخروج. وهبط المصعد ووجدتني في طرقة مظلمة وقهرني شعور بأنني فقدت أصدقائي وأن حوادث كالتي وقعت لي في المصعد تتربص بي هنا أو هناك.

حلم 30

هذا بيتنا بالعباسية، أدخل الصالة أمي تذهب إلى المدخل وأختي تجئ فتقف لحظات ثم تلحق بأمها، لم نتبادل السلام ولكني أعلنت عن جوعي الشديد بصوت مسموع، لم يرد أحد فكررت الطلب وسمعت أصواتاً في الحجرة المطلة على الحقل فذهبت إليها فوجدت أخي الأكبر يجلس صامتاً ويتربع أمامه على الكنبة شيخ الأزهر، وقال الشيخ كلاما جميلاً، ولما انتهى قلت له أني جائع فقال لي أن أحدا لم يقدم له القهوة ولا حتى قدح ماء، فغادرت الحجرة وقلت بصوت تسمعه أمي وأختي أن يقدما القهوة لفضيلة الشيخ وأن يحضرا لي طعاما ولو قطعة خبز وجبنة. ولم أتلق إلا الصمت غير أني سمعت حركة في الحجرة المطلة على الفناء فأسرعت إليها وذكرت أنها حجرتي وفيها الفونوغراف والأسطوانات التي أحببتها فوجدت بنت الجيران التي كانت تزورني لتستعير بعض اسطوانات سيد درويش خصوصا اسطوانة أنا عشقت. وكانت تبحث عن إبرة لتسمع أسطوانة فقلت لها إني جائع، فقالت لي أنها جائعة أيضا. وغلبني الجوع فغادرت الحجرة وصحت طالبا لقمة، ولما لم أجد أي شئ، غادرت البيت وقد حل المساء، يظل الطريق خال وخفت أن تكون المحال قد أغلقت ولكني اتجهت نحو المخبز منهوك القوى من الجوع وثمة أمل يراودني.

حلم 31

امتطي حماراً يسير بي وسط الحقول خطوات رتيبة وأنا خال من المشاعر تحت أشعة شمس الخريف وترامى إلينا نباح كلب فتوقف الحمار فنخسته بكعبي فعاد إلى السير ويعود النباح فأحدد بصري لأرى الرجل الذي أقصده. وظهرت امرأة محاطة بالعديد من الكلاب فهتفت فيها لتكف عن النباح فأذعنت لها، فسلمت، وقلت إني قادم لمقابلة الشيخ بناء على خطابين متبادلين. قالت المرأة إنها صاحبة الأمر الأخير وأنها تستطيع أن تقدم الخدمات المطلوبة كما تستطيع أن تفنى من تشاء إن حرضت عليه الكلاب.

فقلت إنني جئت للسلام لا للحرب وإني أريد عملاً. وأشارت إلي فنزلت عن ظهر الحمار ووقفت أمامها في خشوع وسارت وتبعتها ومن خلفي الحمار تحيط بنا الكلاب ووقفت أمام مبنى صغير فتوقف الركب كله وأمرتني بالدخول فدخلت وقالت لي أن أنتظر في الداخل وحذرتني من الخروج إلى الكلاب التي لا ترحم فسألتها حتى متى ألبث. وماذا عن العمل. وأن الشيخ وعدني خيراً ولكنها لم تحفل بكلامي وامتطت الحمار وذهبت تاركة الكلاب حول المبنى. وكانت ترسل إلي باحتياجاتي مع رجال أشداء ولكنهم لا ينبسون بكلمة وأفكر أحيانا في الدخول مع الكلاب في معركة حياة أو موت. ولكن يتغلب الأمل فأنتظر.

حلم 32

حدثني الزميل القديم إنه ذاهب للعمل في اليمن وقال لي إن ثمة كلاما يدور حول دعوتي للعمل في اليمن وحثني على القبول فوعدت بالتفكير في الموضوع دون أن أبدي أي حماس له. وفي البيت الذي أعيش فيه وحيداً مع كلبتي فكرت في الأمر على غير المتوقع. وشجعني على ذلك نفوري من كلبتي الذي تولد منذ أخذ وجهها يتغير ويتخذ صورة وجه إنسان. كانت وهي كلبة خالصة جذابة ومسلية أما بعد التغيير المذهل فلم تعد كلبة ولا بلغت أن تكون إنساناً، وسرعان ما أجد نفسي في حجرة مكتبي في اليمن وسكرتيري الخاص واقف بين يدي، وكانت الحرارة شديدة، فسألت السكرتير عن حال الجو في هذا البلد فقال لي إنه دافئ شتاء وشديد الحرارة بقية فصول السنة ولكن المبنى مرتفع جدا وكلما ارتفع تحسن الجو وأنه ما علي كلما ضقت

بالجو إلا أن أكتب التماسا للمدير للنقل إلى طابق أعلى. سررت بعد اكتئاب وقمت إلى النافذة ونظرت إلى أعلى فرأيت المبنى عظيم الارتفاع حتى خيل إلى أنه يلامس السماء.

ورأيت رؤوسا تطل من النوافذ العالية فارتعش قلبي لرؤيتها إذ رأيت فيها وجوه أحبة الزمان الأول. سررت سرورا لا مزيد عليه وحمدت الله على قبولي الدعوة للعمل في اليمن السعيد.

حلم 33

ماذا حل بالشارع بل بالحي كله؟ على ذاك لم أكن أتوقع خيرا فيما أرى.

الحي كله كأنما هرم به العمر فذهب رونقه وتناثرت القمامة هنا وهناك وصادفني أحد العاملين فسألته:

- ماذا جرى؟

فأجاب وهو يبتسم:

- البقاء لله وحده، وسبحان مغير الأحوال.

وقصدت مسكن صديقي متوقعاً أن يحيق به ما حاق بالحي كله أو أكثر، ولا أنكر أنه كان وساطتي للحصول على بعض الأدوية الضرورية من الخارج كما كانت مكالمة تليفونية منه تحل أعصى المشكلات في المصالح الحكومية، وجدته كاسف البال لا يأمل خيرا في شئ. فعزيته وقلت له إنه صاحب مهنة على أي حال.

فقال متهكما:

- ستثبت لك الأيام أننا لسنا أسوأ من غيرنا.

وساءلت نفسي ترى هل يوجد حقا ما هو أسوأ، وسرعان ما حضر نفر من الشبان والشابات، ومع كل حقيبته ملأها بأشيائه المودعة في الشقة مثل البيجامات والملابس الداخلية والقمصان النسائية الفاتنة وداهنة وروائح عطرية.

وحمل كل حقيبته وذهب. نطق كل شئ بما كانت تؤديه شقته من خدمات كما فطن بتدهوره. وتساءلت في نفسي. ترى هل كان ينعم بالفخر، أو أنه تجرع المذلة والقهر؟

حلم 34

عند منعطف من منعطفات الحارة، رأيت أمامي الصديقين الشقيقين اللذين طال غيابهما وأحزنني غاية الحزن، وبهتنا ثم فتحت الأذرع وكان العناق الحار، وتذاكرنا الأحزان والأفراح والليالي الملاح، وطلبا

مني زيارة سكني فمضيت بهما إليه على بعد أمتار ، وتفحصاه حجرة بعد حجرة وضحكا طويلا كعادتهما ثم أعرب عن أسفهما لبساطة المأوى، ثم سخرا مني بلسانيهما اللاذعين الجذابين. وسألاني عن عملى الذى أعيش منه، فأجبت بأنني عازف رباب وأتغنى بعذابات الحياة وغدر الدهر ، وعزفت لهما وغنيت فقالا إنها حياة أشبه بالتسول ولذلك فهما لا يدهشان لما يبدو في وجهي من آثار الضعف والبؤس وقالا لى أنهما بحثا عني طويلا حتى عثرا علي، وتبين لهما أن قلقهما على كان في محله وأنهما يبشراني بالفرج. حمدت الله على ذلك ولكن ما الذى يبشرانني به قالا ستهاجر معنا إلى المكان الجميل والرزق الوفير ، فسألت كيف يتيسر لى ذلك فقالا إنهما - كما أعلم - يمتان بصلة لأصحاب النفوذ ولا خير يجئ إلا عن طريق أصحاب النفوذ.

وتأبطا ذراعي وسارا بى إلى الخارج، حتى بلغنا أحد الرجال العظام شكلا وموضوعا، واستمع للحكاية بوجه محايد، وقال لى إن الهجرة تحتاج لهمة عالية وصبر طويل، فوعدنى خيرا وقال الصديقان، إنهما يطمئنانى. فقال:

- انتظرونى عند الجامع على طلوع الفجر.

حلم 35

فى بيت العباسية ونحن نأوى إلى أسرتنا للنوم أيقظنى صوت ابن أخى وهو يصيح حريق فى السقف، ونهضت فزعا وجاء ابن أخي بالسلم الخشبي وأقمناه في الصالة وصعد كل واحد منا على جانب حاملاً ما استطاع حمله من الماء وأخذ يرشه على النار السارية بين الأركان واقتحمت حجرة أختى وأيقظتها من نومها العميق ومن عجب أنها قامت متكاسلة ومتشاكية من أننا لا نتركها أبدا تنعم بالنوم وعلى أى حال ساعدتنا بملء الأوعية بالماء حتى سيطرنا على النار وأخمدناها. وبدأنا نحقق فى الأمر ولكن رجال المطافئ حضروا على أثر استدعاء الجيران لهم وتأكدوا من خمود النار وفتحوا الشرفات وتفقدوا الأثاث الموجود بها وانتهى الحريق بعد أن أفحمنا فزعا. وعندما جلسنا نستعيد بعض هدوئنا دق جرس التليفون ويلاحظ هنا تداخل الزمان والمكان إذ أن بيت العباسية لم يكن به تليفون وهكذا أصبحنا فى مسكن آخر مع أناس آخرين دق جرس التليفون وكان المتحدث صاحب العمارة التى استأجرنا بها شقة فى الإسكندرية ودعانا الرجل إلى الإسكندرية دون ابطاء وأنه شبت النار داخل الشقة وطمأننا أنه استدعى المطافئ فأخمدوا النار ولكن حضورنا ضرورى بطبيعة الحال وفي الحال ارتدينا ملابسنا أنا وزوجتي وأسرعنا إلى محطة الباص الصحراوى وكنا فى غاية الكدر والإنزعاج حتى أننى اقترحت على زوجتى إخلاء الشقة وتسليمها لصاحبها خاصة وأنها تعرضت إلى محاولة سرقة قبل ذلك ولكنها قالت لى انتظر حتى نرى ماذا ضاع منها وماذا بقي.

حلم 36

جمعنا بهو ما. ثمة وجوه أراها لأول مرة ووجوه أعرفها جيدا من الزملاء. وكنا ننتظر إعلان نتيجة يا نصيب. وأعلنت النتيجة وكنت الرابح وكانت الجائزة فيلا حديثة وحصل زياط وتعليقات وتهانى. لم تستطع وجوه كثيرة أن تخفى كمدها. وقال لى كثيرون إنه فوز ولكنه خازوق من أين لك المال لتأثيثها وتوفير الخدم اللازمين لها واستهلاكات الماء والكهرباء وخدمة حوض السباحة والتكييف الخ.

الحق أن الحلم مازال حلما وها أنا أتفقد الفيلا كل يوم تقريبا وأرجع بالخيبة والحسرات. واستغل أناس قلة خبرتي وأقنعوني ببيعها واشتروها بثمن فرحت به ساعات حتى تبين لي أنني خدعت وسرقت.

وحدث في ذلك الوقت أن خلت وظيفة مدير عام وكثر التزاحم حولها والمرشحون وبطاقات ذوي النفوذ وقابلت الوزير وقلت له إنني لا وسيط لي سواه ولكنه قال لي إنك لم تستطع أن تحافظ على مالك الخاص فكيف أأتمنك على المال العام.

وصرت نادرة ومثالا فطلبت ضم المدة الباقية لي في الخدمة إلي خدمتي وإحالتي إلي المعاش وأخيرا وجدت الطمأنينة في موضع لا يتطلع إليه طماع ولا ينظر إليه ذوو الطموح.

حلم 37

المحمل يتمايل فوق الجمل المزين بالألوان والورود. أمامه رجل يغرس في فيه عامودا ذا رأس تدلى منها شراشيب ورأس الجمل في مستوى أول طابق من بيت أطل أنا من نافذته وتلاقت عيني مع عين الجمل فقرأت فيها ابتسامة وغمزة وحلت لي الدركة فطرت من موقعي وراء النافذة ودرت حول رأس الجمل بجلبابي وشعري المنفوش وكبر الناس وهللوا وزهللوا لوقوع المعجزة وتماديت أنا فارتفعت في الجو وتراجعت نحو سطح بيتي وهبطت. وبعد مرور المحمل تجمع الناس أمام البيت يريدون مشاهدة الإنسان الطائر. وإذا بهم يتحولون فجأة من الإعجاب إلى الخوف والحذر وقالوا إن روحا شريرة حلت بالشخص الطائر وأن طيرانه حول رأس الجمل نذير شؤم للناس جميعا وإنه يجب أن يبرأ من الشيطان وذلك بجلده حتى يتطهر تماما فإذا رفض الدواء عرض نفسه للعقاب المناسب وهو القتل، وركب الرعب الشاب وأسرته واستنجدت الأسرة بالشرطة واشترط المأمور أن يرى المعجزة وهي تحدث أمام عينيه وذهب إلي البيت ورأى المعجزة وبهر بها حقا ولكنه وجد نفسه بين رأيين. الأسرة تقول إنها كرامة من كرامات الأولياء والناس تؤكد أنه عبث من الشيطان ونذير شر.

وأخيرا قرر المأمور أن يضع الشاب في السجن حتى ينسى الموضوع برمته.

حلم 38

في حجرتي جالس أستمع إلى أغنية يذيعها الفوعراف، دخلت من الباب المفتوح فتاة في العشرين جميلة ورشيقة ومثيرة. اكتسحتني دهشة ورغبة فقمت من مجلسي واتجهت نحوها حتى وقفت قبالتها. وبهدوء مدت يدها بخطاب فتناولته ونظرت فيه ثم رددته إليها وأنا أقول لها إنني لا أستطيع القراءة لضعف بصري وطلبت منها أن تقرأه هي ولكنها اعتذرت بأنها لا تقرأ ولا تكتب وأن والدها كتبه للأمير المسطر اسمه على الظرف ووصاها والدها قبل وفاته بأن تجيئني بالخطاب لأحمله إلى الأمير، وقلت لها ودهشتي تتزايد إنني لا أعرف الأمير ولا أي أمير غيره وساورني الارتياب من ناحيتها وحاولت تغيير الموضوع ولكنها ذهبت.

وعندما كنت أعبر جسر قصر النيل في طريقي إلى عملي ظهرت لي عند نهايته فتجاهلتها ولكنها تبعتني مسافة غير قصيرة.

وعندما عدت إلى مسكني وجدتها مستقرة. حذرتها من أن تعود إلى موضوع الخطاب والأمير. ومر وقت طيب ولكني لم أخل من الوساوس. والظاهر أنها لم تخل كذلك من مخاوف. وكان واضحا أننا نريد الهرب بطريقة أو بأخرى.

حلم 39

دخلت حجرة الوزير ومعي بيان مكتوب على الآلة الكاتبة بأسماء الموظفين المرشحين للترقية. اسمي بينهم وواضح أن الوزير يخصني بالرعاية.

وقع الوزير البيان في أعلاه وذهبت به إلى إدارة المستخدمين لتنفيذه. اتجهت إلى الموظف المختص وكانت فتاة شابة وجميلة. نظرت في البيان ولاحظت أن الوزير وضع إمضاءه في أعلاه وأنه كان يجب أن يضعه في أسفله. وإلا فإنها لن تستطيع تنفيذ أمر الترقية على الموظفين المسجلين في أعلاه، اغتظت وشكوت ما نلاقي من الروتين ولكنها أصرت على موقفها فحملت البيان من جديد إلى الوزير فوقع اسمه في الموضع الصحيح وهو يضحك. ورجعت إلى الفتاة وسلمتها البيان. وكانت تجلس على يمين مكتبها موظفة صديقة معروفة بالمرح فدافعت عن تصرف زميلتها قائلة إنها تضن بالترقية على الموظفين العزاب وترى أن المتزوجين أولى بها. وتظاهرت الموظفة بأنها تضايقت من إذاعة هذا السر ولما قابلتني الموظفة المرحة بعد ذلك سألتني عن رأيي في موظفة المستخدمين فصارحتها بأنها أعجبتني فاقترحت أن تبلغها بإعجابي كمقدمة لجمع رأسين في الحلال. فطلبت مهلة للتفكير فقالت إنني لم أعد شابا وأن عمري يضيع في التفكير وأصرت على إبلاغها واستسلمت فلم أرفض.

حلم 40

قبيل المساء وأنا عائد إلى بيتي متدثرا بالمعطف والكوفية اعترض سبيلي صبي وصبية غاية في الجمال والتعاسة وطلبا مني ما أجود به لوجه الله وبحثت في جيبي عن فكة فلم أجد فأخرجت ورقة من ذات الجنيهات الخمسة وطلبت من الصبي أن يذهب الى أقرب كشك ويشتري لي قطعة شيكولاتة ويجيئني بالباقي. وما غاب الصبي عن عيني حتى بكت الصبية واعترفت لي بأن أخاها يعاملها بغضب شديد ويدفعها لارتكاب الأخطاء فهي تزداد كل يوم انحرافات وشرا وتدعو الله أن ينقذها مما تعاني. تأثرت وتحيرت. ثم عرفت أن الصبي لن يعود وأدركت مدى حماقتي لما أوليته من ثقة وتذكرت كيف يتهمني أهلي بالطيبة والغفلة ولكني لم أترك له أخته وأخذتها إلى بيتي لتبدأ حياة جديدة مع أهلي. وتحسنت أحوالها وبدت وكأنها من الأسرة لا شغالة لها.

وذات يوم جاء لي شرطي ومعه الصبي الأخ ولما رأى أخته أمسك بها. وعلمت أني مطلوب في القسم وهناك وجُهت إليّ تهمة اغتصاب البنت والاحتفاظ بها في بيتي بالقوة وذهلت أمام ما يوجه إلي وطلبت من البنت أن تتكلم فبكت ووجهت إلي من الكبائر ما لم يخطر لي على بال. وكان المحضر يسجل كل كلمة والدنيا تسود في عيني وعلى الرغم من إيماني الراسخ فلم تغب عني خطورة الموقف.

حلم 41

قال لى السمسار: لا تضجر ولا تيأس يلزمك الصبر الجميل. وكنت أعرف أنه على علم بسر قلقى. وأننى مهدد بأن أفقد المأوى وأجد نفسى فى الطريق. قلت له بأننى رأيت من المساكن عدد شعر رأسى، ولكن الأسعار دائما فوق قدرتى. وما هذه المساكن الخيالية التى يقدر ثمن الشقة فيها بالمليون. والعجيب أنه أكد لى أن أربع زميلات لى يملكن شققا فى هذه المساكن الخيالية. وغبطهن على قدراتهن الخارقة، وقال لى الرجل إن الأمل الأخير فى عمارة الحاج على بحى الحسين وأن علينا أن ننتظر عودته من الحج وقلت له إننى أذكره من أيام إقامتنا فى الحى العتيق وإننى كنت أشترى منه الفول أحيانا بنفسى فضحك الرجل وقال إن هذا ما يقوله الكثيرون ممن يرجون امتلاك شقة فى عمارته الجديدة.

قلت بخوف:

إنه الأمل الأخير.

فقال بلهجة مشجعة:

عليك بالصبر الجميل.

حلم 42

السفينة تشق طريقها بين أمواج النيل الرزينة. نحن جلوس على صورة دائرة يقف فى مركزها الأستاذ. وضح أننا نؤدى الامتحان النهائى. وكان مستوى الإجابات ممتازا. وتفرقنا نشرب الشاى ونأكل الجاتوه. وتسلمنا شهادات النجاح وعند المرسى وقفت السفينة وغادرناها، وكل يحمل شهدته فى مظروف كبير. ووجدت نفسى أسير فى شارع عريض خال من المبانى ومن المارة ولاح لى مسجد يقوم وحيداً فاتجهت نحوه لأصلى وأرتاح قليلا، ولكن تبين لى حال دخولى أنه بيت قديم، هممت بالرجوع، ولكن جماعة من قطاع الطريق أحاطوا بى وأخذوا الشهادة والساعة والمحفظة، وانهالوا على ضربا ثم اختفوا فى أرجاء البيت.

خرجت إلى الطريق وأنا لا أصدق بالنجاة. وبعد مسيرة يسيرة صادفتنى دورية من الشرطة فهرعت إليهم وحكيت لقائدهم ما وقع لى.

وسرنا جميعا نحو بيت اللصوص، واندفعوا داخلين شاهرى أسلحتهم ولكننا وجدنا أنفسنا فى مسجد والناس يصلون وراء الإمام. وحصل ذهول وتراجعنا مسرعين وأمر قائد الدورية بإلقاء القبض على. وجعلت أؤكد ما وقع لى وأقسم بأغلظ الأيمان ولكن وضح لى أنهم أخذوا يشكون فى عقلى على أنى لم أكن دونهم حيرة وذهولا.

حلم 43

ليلة زفاف ابن عمي تقام في بيتنا بالعباسية بين الطبل والأغاني. يتقدم ابن عمي تتأبط ذراعه عروسه في حلة العرس. وقبل أن يصعدا السلم إلى الداخل يعترضهما مفتش الشرطة. ذهلنا وتساءلنا عما وراء ذلك. انقض المفتش على العروس فتفحص وجهها وأخذ بصمتها على لوح صغير وفحصه بمنظار مكبر وألقى القبض عليها وسار بها إلى سيارة الشرطة، وأدرك الجميع ما يعنيه ذلك.

وأقبلوا على ابن عمي يواسونه ويحمدون الله الذى نجاه من شر أوشك أن يطوقه، ورغم ذلك فقد مضى الشاب وهو يبكي وقررت أن أمضى الليلة فى بيت العباسية مع أهلى ولكنى اكتشفت أن جميع مصابيحه الكهربائية معطلة.

فسألت أختى كيف يعيشون فى الظلام. واكتشفت أيضا أن جدرانه تحتاج إلى ترميم ودهان وضقت بالمكان ونويت أن أصلحه، وأعيده إلى رونقه القديم.

حلم 44

وجدت نفسي جالسا أمام مكتب وزير الداخلية. منذ أيام قلائل كان زميلى فى الجريدة، وكان اختياره وزيرا للداخلية مفاجأة، وانتهزت الفرصة وطلبت مقابلته فاستقبلنى بمودة وترحاب وعرضت عليه مطلبى وهو توصية لرجل أعمال معروف بصداقته له، لأختار في وظيفة معينة فى شركة من شركاته. وكتب بخط يده التوصية المطلوبة وانتهت المقابلة على أحسن حال.

وفى مساء اليوم نفسه وأنا أمشى على شاطئ النيل اعترضنى رجل ممن تسمع عنهم فى الصحف، وأشهر على سلاحا وسلب منى نقودى. كانت فى حدود خمسين جنيها.

رجعت إلى منزلى مضطربا ولكنى لم اتخذ أى إجراء يؤثر في الميعاد الذى حدده لى رجل الأعمال، وعند الضحى كنت فى مكتبه، وبعد دقائق سمح لى بالدخول وقدمت التوصية، ولكنى تجمدت فى موقفى لحظة غاية فى الحرج. قلت فى نفسى: رباه، إنه اللص الذى سرقنى أو أخوه التوأم.

ودارت بى الأرض.

حلم 45

على سطح البحيرة ينطلق قاربى البخارى وذاك قارب آخر يتبعنى أو هكذا خيل إلى، وأسرع فيسرع وساورني القلق. ولكن لماذا يتبعنى؟

ووجدتنى أقترب من مرسى فخم فرسوت وصعدت سلما إلى شرفة واسعة وعرفت أنها تتبع السفارة الروسية، وكانت الشرفة مليئة بالمعزين الذين جاءوا يعزون فى وفاة فقيدة عزيزة.

وسلمت على السفير وجلست أسمع ما يقال عن الفقيدة. وأنظر إلى البحيرة فلا أرى أثرا للقارب الآخر فاطمأن قلبى.

وقمت في الوقت المناسب إلى قاربي وانطلق بي في اتجاه الشطئ الاخر ونظرت خلفي فرأيت القارب الغريب وهو ينطلق ورائي وكنت بلغت وسط البحيرة فرأيت من الأفضل أن أسير إلى الشاطئ عن الرجوع إلى السفارة وقلت أنه عند الشاطئ يتضح حقيقة الموقف المواجهة بكل قوة.

حلم 46

جمعتنا حديقة. درج صاحبنا يغني ونحن نسمع ونطرب ويعلو منا هتاف الوجد والاستحسان. وأزعجنا العباد فشكونا إلى الشرطة. ورأينا الشرطة قادمة فتفرقنا لائذين بالفرار. جريت في الاتجاه الذي اتفق وكلما نظرت خلفي رأيت الشرطي يجري في إثري بكل قوة وإصرار، وظهر لي شخص يجري أمامي وكأنه يفر مني. من يكون ذلك الشخص؟ ذكرتني رشاقته وجميل قوامه بالحبيبة. وهكذا صعدنا البرج وفوق سطحه منتني النفس باحتضان حبيبتي ولكنها تخطت السور وهوت من ذلك العلو الشاهق إلى الأرض. فقدت عقلي وزاد من تعاستي اقتراب الشرطي فوثبت من فوق السور وراء حبيبتي توقعت أفظع ألم وكان لارتطامي بالإرض دوى مثل قنبلة لكني لم أشعر بأي ألم. وقمت واقفا في تمام الصحة. تلفت فلم أجد لحبيبتي أثرا ونظرت إلى أعلى البرج فرأيت الشرطي يطل علينا وهو يغرق في الضحك.

حلم 47

في الطريق لعب أمامي مجموعة من الصبية فشعرت أنهم يضمرون لي السوء. وعجبت لأنه لم يحصل بيني وبينهم ما يدعو إلى ذلك، وسرت في حذر وأنا أتذكر بدهشة حالي عندما كنت في سنهم.

ووجدت أمامي محلا كبيرا يعد ليكون محلا لبيع الحلوى كما فهمت من لافتته الكبيرة، وكان العمل على أشده في إعداده فاقتربت منهم وسألتهم 'هل ستقدمون ضمن الحلوى بقلاوة وكنافة' وكف العمال عن العمل واتجهوا بأنظارهم نحوي وعلى حين قهقه الصبية وصفروا. وجاء من أقصى المحل رجل بدا أنه صاحبه وسأل 'هل حقا مازال يوجد أناس يحبون البقلاوة والكنافة؟' وسرت بين العمال همهمة وراح الصبية يرقصون ويصفرون ويكورون قبضات أيديهم في وجهي.

حلم 48

أقبلت فوجدت في الحجرة الحرافيش، وسألت عن الغائب الوحيد فقالوا إنهم أرسلوا إلى الموسيقار سيد درويش في طلب فرقة الباليه الحديدة ولا أدري كيف فسد الجو بيني وبينهم وتجهمت وجوههم جميعا، وهممت بمغادرة المكان، ولكن فرقة الباليه وصلت وفي الحال عزفت الموسيقي ودار الرقص وخفت التوتر بيننا، واندمجنا في الرقص والنغم، بل وصفت القلوب وانهالت علينا النشوات وغمرنا الحب والمودة.

وإذا بنا ننضم إلى فريق الراقصين والراقصات ونشارك في الأناشيد والأغاني وتعاهدنا دون كلام على أن نؤرخ تلك الليلة.

حلم 49

قصدت المبنى الأبيض الأنيق: فى صدر البهو جلست السيدة الجميلة، واجتمعنا إليها فراحت تتحدث عن شركة الإنتاج الفنى التى قررت إنشاءها. ورحبنا بالشركة وصاحبتها ومضى كل منا يدلى برأيه فى الإنتاج والعمل. ولم نختلف إلا حول الأجور. فقد كان رأيها أن يحدد الأجر تبعا للاتفاق معها. وكان رأيى الذى أيده البعض أن يحدد الأجر بنسبة ثابتة من تكاليف الفيلم أو المسرحية. وأجلت المناقشة إلى جلسة أخرى. وقلت لزملائى إن الأخذ برأيها يجعلنا تحت رحمتها وإن النسبة توضح الأمر وتغلق الباب أمام الانتهازية.

ودعتنا السيدة مع آخرين للعشاء. وبعد العشاء أقيمت حفلة موسيقية. وما ندرى إلا والسيدة تتجرد من ثيابها وترقص عارية وبصورة غاية فى الإثارة.

واستقر رأيى بصفة نهائية. قررت أن أبتعد عن الشركة وصاحبتها.

حلم 50

كنت أتطلع إلى امرأة فاتنة تسير فى الطريق، فاقترب منى بجرأة وهمس فى أذنى أنها تحت أمرى اذا أمرت. كان براق العينين منفرا ولكنى لم أصده. واتفقنا على مبلغ وأصر على أن يأخذ نصفه مقدما فأعطيته النصف. وضرب لى موعدا ولكن عند اللقاء كان بمفرده واعتذر بتوعك المرأة وكن على أتم استعداد لرد المقدم ولكنى صدقته وأبقيته معه. وكان يقابلنى فى حلى وترحالى ويطالبنى بالصبر. وخشيت أن تسئ هذه المقابلات سمعتى فأخبرته أننى عدلت عن رغبتى ولن أسترد المقدم ولكن عليه ألا يقابلنى. ولم يعد يقابلنى ولكنه كن يلوح بها فى أكثر الأماكن التى أختلف إليها. وضقت به كما كرهته وقررت الانتقال إلى الإسكندرية. وفى محطة سيدى جابر رأيته واقفا وكأنه ينتظر.

حلم 51

وقف القطار دون وجود محطة فتساءلت صاحبتى عن السبب ولكنى لم أدر كيف أجيبها.

واذا بكتائب من الجيش تطوقه فتقتحمه شاهرة أسلحتها وساقت الى الخارج كثيرين من ضباط الجيش الذين كانوا بالقطار وعددا محدودا من المدنيين. وقبض عليّ فيمن قبض عليهم فتركت صاحبتى منزعجة خائفة. وجدنا أنفسنا فى صحراء. أمرنا الجنود المسلحون بخلع بدلنا والبقاء بملابسنا الداخلية، ولكنهم وضعوا العسكريين فى ناحية والمدنيين فى ناحية، وأخذنا نتهامس أننا ضعنا وانتهى الأمر.

وجاء قائد الجنود ونادى علينا كل واحد باسمه. وتساءل صوت منا:

- هل تقتلوننا بلا محاكمة؟

فأجاب القائد بصراحة:

- الأمر لا يحتاج الى محاكمة

وتحرك القطار فتذكرت صاحبتى.

حلم 52

دعينا إلى اجتماع فى حديقة الأزبكية. وهناك طرح علينا اقتراح بتكريم أستاذنا الجليل بمناسبة مرور مائة عام على مولده، ولم يتحمس أحد، ولكن لم يبد أحد منا اعتراضه. واتفق على أن يتم التكريم فى وزارة الخارجية التى قضى فيها زهرة عمره وأنجز أكبر مآثره.

وفى اليوم الموعود ذهبت مبكرا لأتفقد المكان واتجهت من فورى إلى البهو المختار، كان أنيقا مهيبا كعادته ولكن ازدان هذه المرة بوجود الفتيات الحسان اللائى عشقهن على مدى العمر.

جئن فى زى موحد ليقمن بالخدمات المطلوبة وقد اكتسين برونق الشباب الريان، حفق قلبى بشدة وتحيرت بين نداءات الحسن وجاء قلبى بأقصى قدراته من الحب. وجاش صدرى بالمعانى التى سألقيها فى خطاب التكريم.

حلم 53

سألت عن صديقى فقيل لى إن الموسيقار الشيخ زكريا أحمد يسهر فى بيته كل ليلة شاديا بألحانه حتى مطلع الفجر فقلت يا بخته ودعيت لحضور سهرة فذهبت إلى الحجرة الواسعة المزخرفة جدرانها بالأرابيسك. ورأيت الشيخ زكريا جالسا على أريكة محتضنا عوده وهو يغنى 'هوه ده يخلص من الله' وفى حلقة جلست الأسرة نساء وأطفالا وبينها رجل معلق من قدميه وتحت رأسه على مبعدة ذراع طست ملئ بمية النار.

وضاعف من ذهولى أن الجميع كانوا يتابعون الغناء دون أدنى التفات إلى الرجل المعذب.

حلم 54

فى الحجرة المغلقة دار الحوار بينى وبين المذيعة وكان الحديث عن الموسيقى المحلية والأجنبية، وعند بعض مراحل الحوار أقوم للبيانو وأعزف عليه بعض الألحان. وكلما مر وقت فتح الباب ودخلت سيدة من أهل البيت لعلها أمى أو أخرى فى منزلتها تقدم مشروبا وتذهب، ولكن وضح لنا أنها كانت تراقب خلوتنا بريبة.

وضقت ذرعا برقابتها فعزمت على تحديها بصورة غير مسبوقة فما أن سمعت صوت الباب وهو يفتح حتى اندفعت نحو المذيعة وضممتها إلى صدرى.

ولم أعد أبالى شيئا كما لم أجد غضاضة ما. ولما انتهيت من التحدى كانت المرأة قد اختفت من الحجرة بل ومن البيت كله.

حلم 55

تحتدم المناقشة بين امرأة ورجل وأبنائها الخمسة حول حق الأم التى تجاوزت الستين فى الحب والحياة. وتخطت المناقشة الأسوار فصارت حديث الجيران.

يقول البعض إنه حب زائف بين عجوز وشاب في سن أبنائها طمعا في المال الذى ورثته عن زوجها. ويقول البعض إنه ليس للإنسان إلا ما يقدر له من الحياة والحب خاصة حتى ولو أدى ذلك إلى دفع الثمن باهظا. وبدا الأمر فى نظر الشبان الخمسة مصيبة لها، وكن من قتل الأم البائسة ووقف الأبناء الخمسة فى قفص الاتهام. وتوزعت التهمة عليهم من التنفيذ للمشاركة للتخطيط.

وكان التحقيق فيها والمرافعات حامية إذ كانت مفرداتها الأمومة، والبر، والشرف، والسمعة، والتقاليد ومازلت أذكر وجوههم وأقوالهم كما لازلت أذكر المرحومة أيام كانت تتحدى العمر والألسنة، وتسير متبرجة تتبختر.

حلم 56

غادرت البيت الكبير الذى ينتظر فيه كل رجل بذاته فلا يعرف أحداً من الآخرين. وشعرت بشئ من الأمان بعد القلق.

غير أن شعور الأمان لم يدم طويلا، فخيل إلى أن آخرين يتبعونني، ونظرت خلفي أخذت في الجرى، فرأيت عن بعد جماعة قادمة ملوحة بأيديها في الهواء.

فأوسعت الخطى حتى أخذت فى الجرى. ورأيت في الطريق بيتا وكان هناك من يدعونى فهرعت من فورى إليه ووجدت أهله وكأنهم عائدون من الخارج فهم ينظمون الأشياء ويزيلون عنها الغبار، ولم يدهش أحد لحضوورى أمامهم فنظروا لوجهى ودودين فى وجوههم وأحاديثهم وابتسامتهم. ونسيت فى تلك اللحظة الزاحفين ورائى.

حلم 57

درت حول الحصن مرتين. حصن حجرى نوافذه صغيرة كالثقوب، ومن كل نافذة يطل وجه أعرفه بل وأحبه. والبعض طال غيابه والآخر رحل عن دنيانا من أزمنة مختلفة، فنظرت بشوق وأسى وخيل إلى أن كل وجه يسألنى من أعماقه أن أحرره، ونظرت إلى باب الحصن الحجرى بلا أمل، ثم ذهبت إلى دار السلطة وطلبت العون، وغادرتها مجبور الخاطر قابضا على عامود من الصلب، ورجعت إلى الحصن، ولوحت بالعامود فتهللت الوجوه واصطفت على الباب وضربت ضربة هائلة فتحطم وتهاوى، واختفت الوجوه من النوافذ وتعالى هتاف فرحة وسرور، ووقفت خافق القلب منتظرا لقاء الأحبة بلهفة وشوق.

حلم 58

أخيرا جاء الترام الجديد وأصبح درة المواصلات في حي العباسية وكنت من أول من استقلوه وجذبتني إليه ألوانه الخضراء والبيضاء وزخارف جدرانه وفخامة مقاعده. كنت أقعد وأقف وأنا أتعجب من جماله، وأقول لنفسي هذا متحف جميل لا ترام، ولكنى لاحظت مع مرور الزمن أن سلوك ركابه دون مستوى جماله بكثير. والحق أني رأيت فعالا يندى لها الجبين خجلا، وذات يوم رأيت شابا من الخواجات ينقض على طفلة يريد أن يلتهمها ولكنى حلت بينه وبينها مذكرا إياه بأنها طفلة وقبل أن يشتبك معى صعدت سيدة جميلة فى أواسط العمر فهرع الشاب إليها وهو يهتف: Like you. وقالت السيدة إنها راجعة لتوها من أوروبا حيث شاركت فى الاحتفال بظهور سيرتها الذاتية وعرضت علينا نسخة فإذا على الغلاف صورة امرأة عارية تماما!

حلم 59

إنه عجيب لطول قامته. عجيب فى سلوكه، أما عن قامته فهى مثل مئذنة الزاوية، وأما عن سلوكه فإنه يعترض سبيل من يختار من أهل حارتنا، ويحنى قامته المديدة حتى يوازى وجهه وجهه، ويتفرس فى أساريره بإمعان، كأنما يبحث عن سر دفين، ويمضى بعد ذلك نحو المقصد حتى يختفى عند المنحنى. وتلقاه الناس بدهشة واجمة وامتعاض شديد، بل إن أحدهم تبعه عن بعد ليكشف أمره، ولما طالت غيبته خرجت جماعة من الأهل والجيران للبحث والاطمئنان ولكنها رجعت مخيبة الرجاء.

عند ذاك جاء دور شيخ الحارة فنهض ليؤدى واجبه، ورجع الرجل جريح الكبرياء، وانقلب الحادث إلى حكاية على كل لسان، كثرت حوله الأفكار والظنون، ولكن بلا جدوى فطواه النسيان أو كاد.

وذات يوم كان شيخ الحارة يسامر إمام الزاوية إذ شعر بوجود يحل فى وجوده، ورأى أمره العجيب بل ولمح قبسا من سره الذى حير الناس، وقرر فى الحال القبض عليه، وأذاع ما عرفه من سره على الملأ.

وهمّ بالقيام ولكن خانته قواه جميعا، فلم يستطع أن يتحرك ولم يستطع أن ينطق.

حلم 60

دقت جرس الباب ففتح عن ثلاث فتيات يقينا أنى لا أعرفهن، لكننى شعرت بأننى لا أراهن لأول مرة. سألت عن السيدة صاحبة الشقة فأجبن بأنها مازالت فى الحج ولم يعرفن بعد ميعاد عودتها. وسرن بى إلى حجرات الشقة. وعند فتح كل باب أرى جماعة حول مائدة مستديرة غارقين فى مناقشة حادة ولكنى لم أعرف أى موضوع يناقشون من اختلاط الأصوات وتداخلها. ولم أرغب فى الدخول فى أى غرفة مفضلا انتظار السيدة صاحبة الشقة. ولفتت نظرى إحدى الفتيات بأن السيدة سوف تتأخر بضعة أيام ومن يأسى أجبتها بعد أن اشتركت فى المناقشات دون جدوى أننى أفضل انتظار عودة السيدة.

حلم 61

وصلتنى دعوة عشاء فى بيت قريب عزيز. ولما اقتربت من الباب رأيت أفواجا من المدعوين يدخلون. فأدركت أن الدعوة عامة. ورأيت بين القادمين نخبة من جيل أساتذتى وأخرى من جيل الزملاء. وتبادلنا التحية وبعض الكلام وكان مما أجمعوا عليه أنهم يقيمون الآن فى قرية كرستوفر وقالوا الكثير عن جمالها

وتعوقها على جميع القرى السياحية. دخلنا وتعرقنا بين الموائد. وكانت جلستي أمام مائدة صغيرة عرية من كل شيء فلا مفرش ولا طبق ولا أدوات طعام وقبل أن أفيق من دهشتي رأيت شكوكو قادما نحوي قابضا على فخذة خروف محمرة. وسلمها لي يدا بيد وذهب وهو يضحك. صعقت واستأت ولكني لم أر بدا من قطع اللحم بأصابعي لأتناول طعامي غير أنني كنت أفكر طيلة الوقت في كرستوفر.

حلم 62

أخيرا عثرت على الصورة القديمة العزيزة بين الأشياء القديمة. ولكن فرحتي لم تتم إذ سرعان ما تبين لي أن الصورة تهرأت بمرور الزمن عليها وطمست ملامح الأعزاء فلم يبق منها بقية تذكر.

وبقدرة قادر وجدت نفسي في بهو مصلحة حكومية وبيدي ملف خدمة موظف يتتبع خطاي ويطالب بالإنصاف. وأدركت بخبرتي أن الموضوع من اختصاص إدرة المستخدمين.

وبحثت فلم أجد لها أثرا وفيما أمر أمام حجرة المخازن فتح الببب وخرج منه زميل توفاه الله منذ شهر. خطف الملف من يدي ورجع إلى المخازن وهو يؤكد أن الموضوع من اختصاصه. وأنساني مظهره المهمة التي كانت تشغلني.

حلم 63

هذه أرض خضراء يحيط بها سور متوسط الارتفاع لكنه كاف لإخفاء ما يجري داخله عمن في الخارج، وتنطلق من وسطها مسلة طويلة في رأسها علم، أما سطحها فيمرح بالشباب والحركة. خلت بادئ الأمر أنني في ناد رياضي. ولكن بعد أن أمعنت البصر غلب على ظني أنني في سيرك، فهنا جماعة تسير على أربع. وهنا فريق يتبادل أفراده الصياح والركل. وفريق آخر يتعاقب الحركة. الشتائم، أما البقية من الشباب فشدو بألحان لم يسمع مثلها. وأردت أن أزداد علما فوجدتني خارج السور في مدينة كبيرة يشقها شارع عملاق تتكتل الجماهير على جانبيه خارج السور وهي تهتف متطلعة إلى العلم في رأس المسلة. وأخيرا فتح الباب الكبير. وتهادى منه الموكب، عربة إثر عربة. وفي كل عربة شاب يجلس جلسة ملوكية، ينظر إلى الناس من عل. ويرد تحياتهم باستعلاء واستكبار.

حلم 64

من شدة الرعب تسمرت قدماي في الارض، فعلى بعد ذراع مني شبت ثلاثة كلاب ضخمة متوحشة تريد أن تنقض عليّ لتفتك بي لولا أن قبضت على أذيالها امرأة باستماتة.

وإلى اليمين وقفت كلبة في ريعان الشباب، آية في غزارة الشعر وبياضه ونعومته وكانت تشاهد م يحدث في قلق تجلى في اهتزازات ذيلها القصير المقصوص.

وارتفع نباح الكلاب الثلاثة وتتابع كالرعد واشتعلت في أعينها الرغبة المتأججة في الفتك بي ولما تعذر عليها الوصول إليّ استدارت فجأة ووثبت على المرأة وعند ذاك اقتلع الرعب قلبي وارتمت عليّ الكلاب. أما الكلبة الجميلة فتطلعت لي مدة وترددت لحظة عابرة ثم ألقت بنفسها في المعركة دون مبالاة بالعواقب.

حلم 65

انقضى العام الدراسي وأعلن عن يوم الامتحان. ولم نكن فتحنا كتاب ولا حفظنا جملة توجب التفكير فيما ينبغي عمله. وثمة قلة كانت ما تزال تحتفظ بشئ من الاحترام لما هو معقول فقررت الامتناع عن حضور الامتحان.

أما الأخرى فكانت مولعة بالعبث واللامعقول فانتهزت الفرصة المتاحة وعزمت على حضور الامتحان.

وفي الصباح الموعود انتظمنا في الصفوف ولبسنا أقنعة الجدية والاهتمام. وإذا برئيس اللجنة يقوم ويقول بصوت جهوري إنه سيوزع علينا ورقتين إحداهما تحوي الأسئلة والأخرى تحوي الإجابات الصحيحة. وذهلنا حقا فلم نكن نتصور أن بين أساتذتنا من يفوقنا في حب العبث واللامعقول.

حلم 66

تم التفاهم بيني وبين المالك ودعاني الرجل لمعاينة ما تم التفاهم عليه أراني شقة ممتازة وزوجته الحسناء وابنها وهو طفل في الثالثة. وطابت نفسي بما رأت وتحدد موعد الساعة التاسعة من صباح اليوم الثاني للتسليم والتسلم. لكنني في الحقيقة لم أستطع صبرا.

ودفعتني قوة لا تقاوم للذهاب إلى الشقة. وكان الذي فتح لي الباب هو المالك نفسه. ولما رآني ثار غضبه وصفق الباب في وجهي بغضب ارتجت له الجدران، وبت ليلة مسهدة أتساءل بقلق بالغ عن الصفقة والمصير.

حلم 67

بناء كبير ستجده في الأصل كان مبنى الوزارة التي كنت موظفا بها ولما رأيت الشباب يعود إليها راودتني نفسي على ارتيادها. في الداخل قابلت نفرا من الزملاء القدامى فانشرح صدري للقائهم وسرنا من حجرة إلى حجرة ومن ذكرى إلى ذكرى حتى بعثنا الماضي من مرقده. ومررنا بسلم واسع عجيب فصعدت من فوري إلى الطابق الثاني هناك رأيت شبابا كثيرين كلما رآني أحدهم تجهم وجهه وألقى علي نظرة مستنكرة انتعض قلبي وشعرت برغبة في التبول. وبحثت هنا وهناك حتى استقرت عيناي على لافتة ترشد إلى دورة مياه في ممر بين الحجرات فهرعت إليه ولكني وجدت عمالا عاكفين على إنجاز مشروع لم يتم تنفيذه لا يصلح للاستعمال رجعت من حيث أتيت. وسرعان ما اكتشفت بأنه لا سبيل إلى الفرج إلا بالعودة إلى الطريق.

حلم 68

ما أجمل هذا المكان. إن سماءه وأرضه وما بينهما تتألق بلون الورد الأبيض. وجوه آية في النقاء والصفاء. أما معجزته الحقيقية فهي أنه جمع أصدقاء العمر الأحياء منهم والأموات دون أن يثير ذلك دهشة أحد. فلا نحن سألناهم عما وجدوا في العالم الآخر ولاهم سألونا عما حدث في الدنيا عقب رحيلهم.

ولكنا وجدنا أنفسنا جميعا في اللهو متمنين أن تدوم الحال، غير أن الحال لم تدم إذ هبطت من السماء سحابة سوداء، حتى ساد الظلام وفرق بيننا، وانهمر مطر مثل الشلالات وتتابع البرق والرعد دون هدنة حتى بلغت القلوب الحناجر.

وهنا تسلل لأذني أصوات بعض الأصدقاء.

قال الأول: إنها النهاية.

وقال الثاني: إني لمحت عند الأفق قبسا من الفرج.

وقال الثالث: مهما يكن من الأمر فلا مفر من الحساب.

حلم 69

هذه غابة تتوسطها هضبة هرمية الشكل، يُصعد إليها من خلال ممرات حجرية مدرجة مزينة بصفوف النخيل وأحواض الزهور وجواسق العاشقين. خلوت إلى صاحبتي، وسبحنا معا في مناجاة غيبت عن وعينا الوجود، وبغتة انتثرت صحبتي واقفة وفي غمضة عين غادرت الجوسق. وقمت لألحق بها وأطمئن عليها فاعترضني صوت كالرعد ينطلق من مكبر صوت ويحذر الناس من وجود قنبلة زمنية ويدعوهم إلى مغادرة الهضبة بلا إبطاء ولا تردد، واندفع الناس نحو الممرات الحجرية وأنا أتلفت، وجمعنا رجال الأمن في موضع على بعد آمن، وبحثت عن صاحبتي فلم أعثر لها على أثر. ترى أين اختفت؟ وهل ثمة علاقة بينها وبين الجريمة؟ وألا يجرني ذلك إلى الإتهام رغم براءتي؟

وسمعت أقرب الواقفين إلي وهو يقول لصاحبته إن قلبه يحدثه بأن المسألة ليست أكثر من بلاغ كاذب. وسألت الله أن يصدق حدس الرجل ولكني لبثت ممزقا بين التفكير في صاحبتي وتوقع الانفجار!

حلم 70

ناداني الشوق لرؤية الأحباب فتوجهت صوب الحي العتيق. وكالعادة قطعت الطريق مشيا على الأقدام حتى بدا لي البيت القديم وذكرياته. ولم أضيّع وقتا فأخذت في الصعود نحو الطابق الثالث والأخير. ولكن دهمني إرهاق غير يسير عند منتصف السلم جعلني أفكر في تأجيل الرحلة لولا أن طبعي يأبى التراجع وبجهد جهيد واصلت الصعود حتى بلغت البسطة الثالثة. ومن موقفي الجديد لاح لي باب الشقة غارقا في الصمت والسكون، فعلمت أنه لم يبق من الصعود سوى عشر درجات هن ختام السلم لكني لم أر درجة واحدة، ووجدت مكانها هوة عميقة فخفق قلبي خوفا على ال البيت.

ومع أن الوصول بات متعذرا إلا أنى لم ألتفت إلى الوراء، ولم أفكر فى التراجع، بل ولم أفقد الأمل. وجعلت ألصق بصري بالباب الغارق فى الصمت والسكون وأنا أنادي، وأنادي، وأنادي من الأعماق.

حلم 71

كان أجمل ما فى عهد شبابنا صديق نادر المثال. آية فى خفة الروح وحلاوة النكتة ورشاقة القفشة وبراعة القافية وثراء الحكايات، والنوادر وإلى ذلك كله لم يكن يضن علينا عند الطلب بالغناء والرقص وسائر فنون اللهو. هكذا أمتعنا دهرا حتى وقع عليه الاختيار لشغل وظيفة مرموقة عرفت في بلادنا بالجلال والوقار. وتوجسنا خيفة، و سرعان ما تحقق تخوفنا فقال لنا وكأنه يرد عنا إنه قرر تغيير حياته من الألف إلى الياء ولم يراجعه أحد وسلمنا أمرنا لله.

وكان إذا قابلنا فى مناسبة حيانا بوقار شديد يعمق شعورنا بالغربة والأسى .

ووهنت العلاقة الحميمة وقاربت التلاشي، ولم نعد نسمع عنه إلا في نشرة التنقلات والترقيات. وأخذنا نتناسى حتى نسيناه أو كدنا. وباعد الزمن بيننا وبينه حتى شاء القدر أن نلتقى على غير ميعاد ذلك عندما احتفلت البلاد بعيدها القومي الجديد. خرجنا للمشاركة والفرحة.

وعزفت الموسيقى النحاسية ودقت الطبول. وتقدمت فرقة من الجيش تبعتها فرقة من الشرطة تبعتها سيارات الصفوة وهنا طالعنا صديقنا القديم ولكن على حال لم تجئ لنا فى خاطر. رأيناه يمتطى حمارا. ويتجلى التناقض صارخا بين تفاهة موكبه وفخامة ملبسه. وكان يثير الضحك أينما ظهر. لكنه والحق يقال لم يلتفت يمنة ولا يسرة، ولا حاد شعرة عن وقاره.

حلم 72

امتلأ البيت القديم بالعباسية بالطيور المهاجرة من الإخوة والأخوات فى اليوم المتفق عليه لزيارة الوالدة، وطلبوا منى إعداد أكلة سمك من سماك العباسية المشهور. ذهبت من فورى إلى المطعم وطلبت الطلب ووجدت جميع الموائد مشغولة إلا المائدة التي تلي الباب مباشرة فذهبت إليها وجلست على كرسي فى طرفها أنتظر. وجاءت سيدة فى الستين مصطحبة معها فتاة في العشرين وجلستا إلى المائدة، وجاء النادل بالأطباق والطواجن. وعلى خلاف المعهود دعتنى السيدة لمشاركتهما الطعام، وبخلاف المتوقع لبيت الدعوة صامتا وبدأت في تناول الطعام، وسرعان ما جاء النادل باللفافة المعدة للمنزل فتناولتها وانسحبت من المائدة دون اعتذار أو شكر وخرجت من المطعم فرأيت على بعد ذراع صديقي المرحوم ع . ش وسررت برؤياه سرورا كبيرا. وعلى سبيل المجاملة قدمت له اللفافة لكنه أخذها بلهفة ومضى دون أن ينبس بكلمة إلى باب مفتوح فدخله وأغلقه. وأدهشنى بتصرفه ولكنى لم أجد مناصا من تجديد الطلب فرجعت إلى المطعم وجددت الطلب. وكان النادل يحمل الحلوى إلى السيدة والفتاة. ودعتنى للمشاركة فذهبت دون تردد، وهنا قالت السيدة أنها ترغب فى الذهاب إلى شارع بين السرايات ولكنها لا تدرى كيف السبيل إليه، فتطوعت بتوصيلها وسار ثلاثتنا فى شارع العباسية. وتم التعارف بالشكر وتفرع الحديث بنا واستحوذ على حتى أنى مررت بشارع

بين السرايات دون أن أنتبه لذلك، كما نسيت الطعام الذي يجهز لي في المطعم وكما نسيت المنتظرين والمنتظرات في البيت القديم بالعباسية.

حلم 73

وجدتني في البيت القديم بالعباسية، ويبدو أنني كنت متكدر المزاج فلم يسلم من نقدي شئ مثل طلاء الجدران وخشب الأرضية والأثاث حتى جاءني صوت أمي من أقصى الشقة وهو يقول بنبرة بسمة لطيفة: إنه ان الأوان كي أبحث بنفسي عن شقة جديدة تعجبني.

وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتني في بهو متعدد الحجرات والأشخاص، يوحي منظره بأنه مصلحة حكومية. وأكد ذلك مجئ زميلي المرحوم ح . أ ليخبرني بأن الوزير أرسل في طلبي، وذهبت من فوري إلى حجرة الوزير واستأذنا ودخلت. ورأيت الوزير على غير عادته من البشاشة وقال لي أنه علم بنقدي للثورة وزعيمها فساءه ذلك فقلت له إني أعتبر نفسي متيّماً بمبادئ الثورة ولم أكن من رافضيها غير أني تمنيت دائما لها الكمال وتجنب العثرات والنكسات.

وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتني صبيا يتجول في ميدان بيت القاضي، وجاءني صديق في مثل سني يدعوني لحضور حفل زفاف شقيقه الأكبر، وقال إن شقيقه دعا سعد زغلول ليشرف الفرح ويبركه وأنه قبل الدعوة ووعد بالحضور. فدهشت دهشة كبرى وقلت له بأن سعد زغلول هو زعيم الأمة فضلا عن أنه اليوم رئيس وزرائها. وأنتم لستم من أقربائه ولا من زملائه في جهاده، فقال إن سعد هو زعيم الأمة حقا ويخص البسطاء بوافر الحب وإنني سوف أرى.

وفي الميعاد ذهبت إلى الحفل في درب قرمز ومضى بي صديقي إلى حجرة فرأيت في الصدر سعد زغلول في بدلة التشريفة يجلس معه ويتبسط معهما في الحديث ويشاركهما الضحك، بهرت بما رأيت انبهارا استقر في أعماقي.

حلم 74

هذا ملعب كبير حل محل بيوت الجيران في الجانب المقابل من الطريق يملأه الجنود البريطانيون، فيغنون ويرقصون. ونحن نتبعهم بدهشة وقلق، ثم ينتشرون في شارعنا والشوارع المتفرعة منه.

وتشاورنا في الأمر واستقر رأينا على الانتقال إلى حي آخر، ولما لم نجد بيتا مستقلا رضينا بشقة في عمارة ضخمة ولم نضن بجهد حتى جعلناها صالحة للمعيشة، وما كدنا نركن إلى شئ من الراحة حتى سمعنا صوت خرفشة مما يصدر عادة من الفئران فتعكر صفو راحتنا. وقبل أن نفكر في شئ ينبغي عمله سمعنا طرقات الباب الخارجي. ولما فتحت الباب رأيت كثرة من الرجال المسلحين بالعصي، قالوا إنهم سكان العمارة يطاردون لصا يظنون أنه تسلل إلى شقتنا واقتحموا الشقة وتفرقوا في الحجرات وأحدثوا جلبة مزعجة، ولكنهم أعلنوا أنهم لم يعثروا على اللص، وغادروا المكان بعد أن قلبوه رأسا على عقب. بل واكتشفنا اختفاء اللص المتخفي، وبينما نحن نتبادل النظر في غيظ وضيق إذ سمعنا من جديد صوت الخرفشة. فثرت غضبا وقلت ليكن فأرا أو لصا أو عفريتا فلن أفتح الباب للطارق.

حلم 75

أمي ترحب بجارة عزيزة وكريمتها الحسناء فى حجرة المعيشة بالدور الثالث فى بيتنا القديم، ودعيت للجلوس معهن ثقة فى الألفة بين الأسرتين.

وفى أثناء الحوار استرقت إلى الفتاة نظرة واسترقت إليّ نظرة دون أن يغيب هذا عن أم الفتاة، فلما ذهبت أمي فى الابتعاد عن الغرفة همست لنا الجارة أن انزلا إذا شئتما إلى الدور التحتانى الآن كعادة من أهل البيت، وتلقيت الدعوة بذهول وبفرح شامل. وما أن دخلنا الدور التحتانى حتى جذبتها إلى صدري، ولكنى لم أخط الخطوة التالية لسماع ضجة غريبة. واقتحم المكان نساء ورجال وشباب، وتفرقوا فى الحجرات، ثم جاء رجل من رجال الأمن ووقف عند الباب زاعما الحفاظ على القانون، وكدت أفقد عقلى من الذهول وضاعف من ذهولى أنى رأيتهم يغنون فى حجرة، كما رأيتهم يرقصون فى حجرة أخرى، ونظرت إلى فتاتى مستغيثا بها فوجدتها هادئة باسمة. وعند ذلك قررت الهرب، غير أنى رأيت رجل الأمن عند الباب فتسمرت فى وضعى فريسة للذهول وخيبة الأمل.

حلم 76

هذه شجرة مورقة يجلس تحتها صديق الشباب وشهيد الوطنية. وعلى الرغم من مرور عشرات السنين على رحيله فإنه بدا أنيقا فى صحة وعافية. فانشرح صدري لمرآه وهرعت إليه ولكنه أوقفنى بإشارة من عصا بيده، ذكرته بعهد الصداقة فلم يعبأ بكلامى وقال إنه لم يعد يستطيع صبرا مع تل القمامة.

قال ذلك وألقى عصاه ثم ذهب، التقطت العصا وأنا حزين ولكنها بعثت فىّ روحاً جديدة، فانطلقت من فوري إلى تل القمامة وانهلت ضربا على أطرافه وكل ضربة أحدثت شقا ومن كل شق يخرج رجال ونساء ليسوا على شاكلة جامعى القمامة ولكنهم اية فى النظافة والوجاهة والفخامة. وكلما لمح أحدهم العصا بيدى فر يركبه الفزع، عند ذلك رسخ يقين بأن الشمس ستشرق غدا على أرض خضراء وجو نقى.

حلم 77

انعطفت إلى الشارع الجانبى الهادئ حاملا حقيبتى بيدى، وسرعان ما تلقيت من الطريق سيلا من الذكريات والأشواق المحفوفة بالقلق والخوف.

وتوقعت عتابا على غيبتى غير القصيرة واستعددت له بالمعاذير المناسبة.

وبلغت مدخل العمارة. فلاحت لى الشقة الأرضية على بعد أربع درجات من السلم وضغطت على الجرس متطلع بوجه باسم، وفتحت الشراعة عن وجه رجل غريب فى جلباب منزلى يوحي بأنه صاحب المكان وفجأة هوى وجدانى الملتهب إلى قاعة بحيرة جليدية وفكرت بسرعة فى اختلاق كذبة تنتشلنى من ورطتى فادعيت أنى تهت وأبحث عن سكن فلان أفندى المدرس وأننى ضللت العمارة فقال الرجل وهو يتفرس فى وجهى بارتياب وتحفز:

- هذه شقته وهو فى الداخل فمن حضرتك لأبلغه؟

وأدركت أننى انكشفت وخرست مبهوتا فارتفع صوت الرجل وهو يقول:

- ما أنت إلا كذاب وفاسق مثل جميع من جاءونى قبلك.

ولم أطق المزيد فهرولت نازلا وكدت أفقد توازنى فسقطت الحقيبة من يدى وانفتحت فظهر داخلها زجاجة نبيذ وكيلو كباب فى طبق من ورق، ولكنى لم أكن أفكر إلا فى أمر واحد وهو أن أختفى فى سرعة البرق.

حلم 78

يالها من جنازة كبيرة، لا أدرى كيف انضممت إليها، فإنى لا أعرف أحدا من المشيعين. بل لا أعرف الميت، والأغرب أن الجنازة سلكت طريقا لم تسلكه الجنازات من قبل، فقد اتجهت نحو شبكة من قضبان السكة الحديد. وعبرنا بها إلى الخلاء حيث توقفت عن السير طلبا للراحة، على حين واصلت القطارات سيرها نحو الشمال ونحو الجنوب وعلا جدل بين الملتفين حول النعش. فريق يرى أن يحمله إلى الجنوب. وفريق يريد أن يحمله إلى الشمال، وكلا الفريقين يزعم بأنه ينفذ وصية الراحل، وصاح أحد العارفين يذكر القوم بأن الراحل ولى من أولياء الله الصالحين، وأنه لن يسمح لأحد بحمله إلى جهة لا يرضاها، وأمن القوم على قوله. وجرب فريق الجنوب حظه ولكنه عجز عن حمل النعش وجرب فريق الشمال فمنى أيضا بالفشل. عند ذاك أدرك الجميع أن ولى الله يأبى أن يغادر الموقع الذى هو فيه وسطا بين الجنوب والشمال.

حلم 79

جلست فى شرفة الفندق الصغير المطلة على البحر. غاب عنى المنظر الجميل لشدة استغراقى فى انتظار فتاتى. ولما طال الانتظار جاءنى مدير الفندق وهو أيضا صديق صباى واقترح على أن أعالج حالتى بالمشى. ذهبت إلى الشاطئ ورحت أسير ذهابا وإيابا. وإذا بى ألمح فتاتى فى سباق سباحة مع نفر من الشبان أحدهم مضى بها إلى الصخرة ليستريحا بعيدا عن الأعين، تلقيت طعنة فى القلب وغرقت فى إحباط لا قرار له وأدركنى المدير الصديق وقال:

- هذا هو حال الدنيا فلا تستسلم للحزن.

فقلت له:

- أنت تعلم أننى عرفت أشياء كثيرة ولكنى لم أتعلم السباحة، وأخذنى إلى ركن هادئ فى حديقة الفندق، وبقيت ساعة فى غم وهم. وإذا بمفاجأة غير متوقعة بحال، رأيت فتاتى تقبل نحوى متهللة الوجه بالسعادة، وتوثبت لإفراغ شحنة من غضبى. وإذا بى أتلقى مفاجأة جديدة. غير متوقعة وغير مفهومة وتستعصى على أى إدراك، فقد غمرتنى بغتة فرحة شاملة مسحت عن صدرى الأحزان كلها وكأن ما كان لم يحدث وهكذا تقابلنا كما نتقابل كل مرة، وذهبنا للتجول فى المدينة كالعادة، ولما مررنا بمحل بيع الهدايا دخلنا دون تردد

واتجهنا إلى القسم المخصص لهدايا الخطوبة والأفراح، وقلبت فتاتي عينيها في الهدايا التي لا تحصى وقالت:

- ليس لدينا من الوقت ما يكفي.

فقلت ببراءة:

- لدينا وقت يكفينا للأبد.

حلم 80

جمعتنا الحجرة القديمة أنا وأمي وأخواتي الأربع وما أن أغلق الباب علينا حتى تصاعدت الشكوى من الزمان والناس، فأقبلت أمي عليّ قلقة وأقسمت بكل يمين أنه ما من قول قالته أو فعل فعلته إلا بدافع الحب الخالص فتساءلت أصوات: إذا كيف حدث ما حدث؟

فقالت أمي بعتاب: عليكم أن تحاسبوا أنفسكم أيضاً وألا تقولوا معي إنه المقدّر والمكتوب.

حلم 81

أخيرا ذهبت إلى القصر ورجوت البواب أن يبلغ الهانم أن الفائز بجائزتها حاضر ليقدم الشكر بنفسه إذا تنازلت وسمحت بذلك ورجع الرجل بعد قليل وتقدمني إلى بهو راعني جماله وصخامته ولم تلبث أن عزفت الموسيقى لحن الإقبال فأقبلت الهانم تتهادى في أبعادها الفتّانة فقمت لألقي خطاب الشكر ولكنها بحركة رشيقة من يديها كشفت عن ثدييها وأخذت من بينهما مسدساً أنيقا وصوبته نحوي فنسيت الخطاب. وأخذت أنصهر من قبل أن تلمس الهانم زناد المسدس.

حلم 82

أسعدني جدا أن يتولى شئون المؤسسة المدير الجديد على الرغم من أنني لم أشارك في انتخابه. ولكن كلما أثنيت عليه، تصدى لي إخوان بالسخرية، فسرت حائرا بين الإعجاب من ناحية والسخرية من ناحية أخرى ولكني رفضت اليأس رفضاً تاماً.

حلم 83

رأيت الكارتة مقبلة حاملة فاتنة درب قرمز ويجرها جواد مجنح، اتخذت مجلسي فيما وراءها وفرد الجواد جناحيه فابتدأت ترتفع حتى علت الأسطح والمآذن، وفي ثوان وصلنا قمة الهرم الأكبر وأخذنا في عبوره على ارتفاع ذراع، فجازفت وقفزت إلى قمته وعيناي لا تتحولان عن الفاتنة وهي تعلو وتصعد، والليل يهبط والظلام يسود حتى استقرت كوكبا مضيئا.

حلم 84

رأيتنى فى شارع الحب كما اعتدت أن أسميه فى الشباب والأمل. ورأيتنى أهيم بين القصور والحدائق وعبير الزهور. ولكن أين قصر معبودتى؟ لم يبق منه أثر. وحل محله جامع جليل الأبعاد. رائع المعمار. ذو مئذنة هى غاية فى الطول والرشاقة. ودهشت. وبينما أنا غارق فى دهشتى انطلق الأذان داعيا إلى صلاة المغرب. دون تردد دخلت الجامع. وصليت مع المصلين ولما ختمت الصلاة تباطأت كأنما لا أرغب فى مغادرة المكان. لذلك كنت آخر الراحلين إلى الباب. وهناك اكتشفت أن حذائى قد فقد. وأن علىّ أن أجد لنفسى مخرجا.

حلم 85

هذه محطة ترام وأنا حائر بين أبعادها لانتظار مجئ ترام ما، ولكن ترقبى لسطوع القمر فى النافذة المطلة على المحطة حيث أختلس نظرة بعد نظرة. وأتمادى فى الطلب وما أكثر الأصدقاء الذين يسألوننى. حتى متى تبقى وحشتى. ولكن أنا فى رحلة لا مفر منها كأنها قضاء وقدر، والحق أنها رحلة شاقة مرهقة وأطول مما تصورت وعند العودة لم يتبين لى إلا قفص مربع هو النافذة ووجدتها بموضعها ولكنها بدت واجمة لا تستجيب ولا تجيب، وكما كنت بالأمس، وقفت تحت النافذة منتظرا غير عابىء بالمارة وأخيرا هبط على صوت حديث كالهمس يتخلله ضحك مكتوم.

ثم سمعت صوتا يتساءل :

- ما حكاية الرجل الذى يقف تحت النافذة؟

فأجابه صوت ضحكتها.

- إنه يبكى عن ذكرى حبيب ومنزل.

حلم 86

كلفت بحمل رسالة إلى المرحوم الدكتور حسين فوزى، فقلت له إن معى عرضا لإعادته فى الخدمة مع زيادة ملموسة فى الراتب. وتخصيص حجرة فاخرة لمقامك .

ضحك الدكتور وقال إنه لا يهمه الراتب ولا الحجرة، ولكن يهمه احترام فكره وكرامته.

ورجعت وفى يقينى أن مهمتى قد فشلت.

حلم 87

في الصباح الباكر اكتشفت الجريمة الوحشية. وما لبثت وحشيتها أن صارت حكاية على كل لسان. ولكني لم أجد موضعا للاختباء إذ أن المكان كله يتقاسمه رجال الشرطة وطبيبات المرض النفسي. وأصبحت فريسة للقلق حتى استدعتني إلى حجرتها كبيرة الطبيبات. وقالت لي الأكثرية هنا يفسرون وحشية هذه الجريمة بالقسوة الكامنة في طبيعة القاتل. أما أنا فأفسرها بقلة خبرته وجهله للأصول العلمية الحديثة لفن القتل. لذلك قررت إلحاقه بالمعهد العصري للجريمة. والله ولي التوفيق!

حلم 88

في قريتنا كل فرد ينتظر رسالة قد تقرر مصيره. وذات يوم تلقيت رسالتي فقرأت فيها أن الحكم صدر بإعدامي شنقا. وذاع الخبر كعادة تقاليدنا. فاجتمع أعضاء نادي القرية وقرروا الاحتفال بالأمر في حينه أما في بيتي حيث أعيش مع أمي وإخوتي وأخواتي فقد انشرحت الصدور وعم السرور. وفي اليوم المنتظر دقت في النادي الطبول. وخرجت أنا من بيتي في أحسن زينة محاطا بأفراد أسرتي، ولكن أمي شذت عن حالنا فدمعت عيناها وتمنت لو كان العمر امتد بأبي حتى يشهد بنفسه هذا اليوم السعيد.

حلم 89

من موقعي في الحديقة رأيت سيدة في الستين مقبلة نحوي متجهمة الوجه وقالت بنبرة غاضبة:

- بسببك خسرت الجائزة.

وتذكرت السيدة ووجهها الحزين ولكني لم أفهم لقولها معنى واستمرت تقول:

- اللجنة استبعدت قصتي بحجة أنها نسخة من قصتك المطبوعة منذ أربعين سنة.

وضح كل شئ وعرفت أن الحظ السيئ مازال يتعقب المرأة وواصلت حديثها.

- أقسمت لهم أن قصتي لا يجوز أن تتهم لسبب بسيط وهو أنها قصة حياتي.

فقلت بانفعال:

- صدقت، أنا اقتبست قصتي من واقع حياتك الذي شاركت فيه أسوأ مشاركة.

فقالت وهي تضحك بسخرية:

- فرصة أن أكون ضحية لك في واقع الحياة لا في الخيال.

حلم 90

تم بناء البيت فكان تحفة معمارية جاء إليها الناس من جميع الأطراف وكل يأمل امتلاكها. وكثرت المساومات واشتد الجدل حتى شق الجموع عملاق وهو يقول بصوت جهير: إن القوة هي الحل. ووجم الناس إلا واحدا تصدى له فقامت بينهما معركة حامية حتى تمكن العملاق من توجيه ضربة إلى رأس خصمه فهوى فاقد الوعي ثم اقتحم العملاق البيت وأغلق البيت بإحكام. وتمر الساعات فلا يفتح في البيت منفذ اتقاء للانتقام أما الواقفون في الخارج فلم يأتوا بحركة مجدية ولكنهم في الوقت ذاته لم يتفرقوا.

حلم 91

في البدء كانت العربة. كنت أدفعها أمامي بقوة ومرح. وذات يوم وجدت على سطح العربة طفلة فازددت نشاطا ومرحا وتتابع القادمون حتى غطوا السطح فاستنفدوا قوتي ومرحي. وشعر الراكبون بمعاناتي فعزمت على ترك العربة حالما تسنح فرصة طيبة. وبمرور الأيام خلا السطح، رجع إلى أصله. أما أنا فلم أرجع بل ازددت ضعفا وأخيرا ركنت العربة ورقدت إلى جانبها.

حلم 92

وجدت نفسي في بهو جميل، وبين يديّ وعاء ذهبي ملئ بما لذ وطاب.

فذكرني هذا بسمار الليالي من أصدقاء العمر الراحلين، وإذا بي أراهم مقبلين تسبقهم ضحكاتهم المجلجلة. فتبادلنا السلام وأثنوا على الوعاء وما فيه. غير أن سعادتي انطفأت فجأة وصارحتهم بأنني لن أستطيع مشاركتهم حيث منعني الأطباء من التدخين منعا باتا، وبدت الدهشة على وجوههم ثم ركزوا أبصارهم في وجهي وتساءلوا ساخرين:

- أمازلت تخاف من الموت؟!

حلم 93

على سطح بيت قريب رأيت أثاثا يرتب وينمق فسألت، قيل لي إن صاحب ذلك البيت حول بيته إلى معهد ثقافي بالمجان قانعا بالمعيشة فوق السطح فأعجبت به وأكبرته وعزمت على حضور بعض دروسه ووجدت المكان غاصا بالبشر وقال الرجل إن درس اليوم سيكون عن الثور الذي يحمل على قرنه الأرض، وصدمني قوله بشدة ففرت مني ضحكة ساخرة فاتجهت نحوي الوجوه شاخصة بالغضب. أما الرجل فرماني بنظرة عابسة وهو يشير صامتا إلى باب الخروج.

حلم 94

خمسة انقضوا عليّ شاهرين المطاوي فسلبوا نقودي وفروا بسرعة مذهلة ولكن بعض ملامحهم انطبعت على ذاكرتي ومنذ وقوع هذا الحادث تجنبت المشي منفردا في الشوارع الجانبية غير أن الشارع الرئيسي لم يكن يخلو من متاعب. فذات يوم وجدت المرور متوقفا والناس متكدسين على الجانبين وما لبث أن جاء

طابور من سيارات عديدة ولما مر أمام ناظرى مؤخرة الطابور لمحت وجها انشق لمرآه قلبى فجعلت أنطق: يخلق من الشبه أربعين.

حلم 95

تمت الموافقة على بدء الرحلة فتلقى الأهل الخبر بالرضى وسارعوا إلى إمدادى بلمال فذهبت من فورى إلى الترزى لتفصيل بدلة على أحدث موضة وقام الرجل بعمله كأحسن ما يكون ولم يكتف بذلك. بل جاء بعمامة أنيقة ووضعها على رأسى وهو يقول: إنه بذلك تصبح البدلة على أحدث موضة.

حلم 96

اشتد العراك فى جانب الطريق حتى غطت ضجته ضوضاء المواصلات ورجعت إلى البيت متعبا وهناك تاقت نفسى إلى التخفف من التعب تحت مياه الدش فدخلت الحمام فوجدت فتاتى تجفف جسدها العارى فتغيرت تغيرا كليا واندفعت نحوها ولكنها دفعتنى بعيدا وهى تنبهنى إلى أن ضجة العراك تقترب من بيتى.

حلم 97

هذه حجرة السكرتارية حيث أمضيت عمرا قبل إحالتى إلى المعاش وحيث زاملت نخبة من الموظفين شاء القدر أن أشيع جنازاتهم جميعا واسترقت نظرة من داخل الحجرة لأرى من خلفونا من الشباب فكدت أن أصعق لأنى لم أر سوى زملائى القدامى واندفعت إلى الداخل هاتفا سلام الله على الأحباب متوقعا ذهولا واضطرابا ولكن أحدا لم يرفع رأسه عن أوراقه فارتددت إلى نفسى محبطا تعسا ولما حان وقت الانصراف غادروا مكاتبهم دون أن يلتفت أحد نحوى بما فيهم المترجمة الحسناء ووجدت نفسى وحيدا فى حجرة خالية.

حلم 98

من موقفى على الطوار أرسلت بصرى إلى الحديقة من خلال قضبان السور الحديدية، وهناك رأيت مالكة فؤادى وهى توزع شيكولاته على المحبين فاندفعت جهة باب السور حتى بلغت مدخل الحديقة وأنا ألهث وواصلت الجرى فى الداخل ولكنى لم أعثر للمحبوبة على أثر فهتفت بحدة لاعنا الحب. وحانت منى التفاتة إلى الخارج فرأيت الفتاة فى الموضع الذى كنت فيه وهى تتأبط ذراع شاب بدا أنه خطيبها، وهممت بالرجوع من حيث أتيت ولكن أقعدنى الإرهاق وطول المساءلة وفوات الفرصة.

حلم 99

هذا فناء مستدير تتوسطه نخلة رشيقة وتقوم فى جوانبه بيوت صغيرة وعند العصارى تفتح الأبواب وتخرج النساء للسمر تحت النخلة ويدور الحديث غالبا حول البنات والزواج، وأنزوى أنا بعيداً لأتابع الحديث بشغف وعندما يهبط المغيب يعضنى الجوع ولم يكن يعلم بحالى سوى صديقة طفولتى تتسلل إلىَّ حاملة طبقا صغيرا نصفه مملوء بالجبن البيضاء والنصف الآخر مفروش بالبقدونس ونتعاون معا على معالجة الجوع على أنغام حديث الزواج.

حلم 100

هذه محكمة وهذه منضدة يجلس عليها قاض واحد وهذا موضع الاتهام يجلس فيه نفر من الزعماء وهذه قاعة الجلسة، حيث جلست أنا متشوقا لمعرفة المسئول عما حاق بنا، ولكنى أحبطت عندما دار الحديث بين القاضي والزعماء بلغة لم أسمعها من قبل حتى اعتدل القاضي في جلسته استعدادا لإعلان الحكم باللغة العربية، فستردت للأمام ولكن القاضي أشار إلىّ أنا ونطق بحكم الإعدام فصرخت منبها إياه بأنني خارج القضية وأني جئت بمحض اختياري لأكون مجرد متفرج، ولكن لم يعبأ أحد بصراحي.

حلم 101

زيّنا البيت ترحيبا بالابن العائد بعد غياب، أصبح فيه نجما من نجوم المجتمع وأمضينا السهرة في الشرفة التي تمد الشقة بالمنظر الجميل والهواء النقي وأتحفنا العائد بالأشعار والألحان حتى انتصف الليل وفي الصباح وجدت مدخل الشرفة مسدودا بدولاب عملاق فخجلت، ولكن الابن لم يخف حزنه إذ ثبت له أن اناسا من صميم أسرته لا يستلطفون وجوده ويكرهون عمله الجميل.

حلم 102

أخيرا اهتديت إلى مأوى في الدور التحتاني من بيت قديم ولكن سرعان ما ضقت برطوبته وسوء مرافقه فسعيت من جديد حتى نقلت إلى الدور الفوقاني وهو أفضل من جميع النواحي غير أن السماء أمطرت بغزارة غير معهودة فانسابت المياه من الأسقف فاضطررنا إلى تكويم العفش وتغطيته بالأكلمة وغادرنا الشقة إلى بير السلم فشعر بنا ساكن الدور التحتاني الجديد فخرج إلينا ودعانا بإلحاح وبشدة إلى الداخل حيث الدفء والرعاية.

حلم 103

مادا جرى لبيتنا؟ جميع المقاعد تلاصقت وسمّرت قوائمها في الأرض وخلت الأسقف من المصابيح والجدران من الصور والأرض من السجاجيد فماذا جرى لبيتنا؟

قالوا بأنه إجراء لتأمين البيت لتعدد حوادث السطو على المنازل فقلت دون تردد إن السطو أحب إلىّ من القبح والفوضى.

حلم 104

رأيتني في حي العباسية أتجول في رحاب الذكريات وذكرت بصفة خاصة المرحومة عين فاتصلت بتليفونها ودعوتها إلى مقابلتي عند السبيل وهناك رحبت بها بقلب مشوق واقترحت عليها أن نقضي سهرتنا في الفيشاوي كالزمان الأول وعندما بلغنا المقهى خف إلينا المرحوم المعلم القديم ورحب بنا غير أنه عتب على

المرحومة عين طول غيابه فقالت إن الذى منعها عن الحضور هو الموت فلم يقبل هذا الاعتذار وقال إن الموت لا يستطيع أن يفرق بين الأحبّة.

حلم 105

جميع الرجال في حيّنا يحلقون رءوسهم في صالون عم عبده انجذابا للحسناء الجالسة خلف صندوق النقود وتمنينا جميعا أن تتحسن حالتنا المالية فنحلق ذقوننا كل صباح في رحاب الجمال وذات يوم وجدتني أسير في طريق متألق الجمال والنقاء وإذا الحسناء مقبلة نحوي من بُعد قريب حتى إذا حاذتني التفتت إليّ فجأة وأخرجت لي لسانها وبسرعة مذهلة تحول وجهها إلى كتلة خشبية سميكة ملونة فذعرت وسارعت مبتعدا غير أنه ترامى إليّ صوت ضحك فنظرت ناحيته فرأيت الحسناء تراقص الأسطى وهما في غاية الحيوية والمرح.

حلم 106

غزا الوزارة نبأ بأن انقلابا قد وقع في الصباح الباكر فتجمع الموظفون حول التليفزيون واستمعنا إلى البيان الأول فقال موظف قديم أنه سمع هذا البيان في مطلع شبابه أما أنا فاكتشفت في زعيم الانقلاب صديقا حميما ومن فرحتي أعلنت الخبر فأسر لي صديق بأن الحياة سوف تضحك لي، فقال الموظف القديم أنه قد تضحك لي الدنيا وقد أعدم بدون محاكمة.

حلم 107

ياله من ترام عجيب ففي حقيقته يرقد نعش كتب عليه أن هذه جنازة فلان تنفيذا لوصيته وفلان زميل قديم اشتهر بتجدُّد حظه السيئ فعلي كثرة مؤلفاته لا يكاد يعرفه قارئ وجاء المشيعون والمتفرجون حتى بلغ الترام المدافن وسط مظاهرة لم تشهدها جنازة من قبل وما جاء المساء حتى كان اسم الراحل يتردد على كل لسان.

حلم 108

غادرت القطار الجميل وقلبي مفعم بالأشواق ولكني وجدت نفسي في خلاء مخيف فأين إذن الحديقة التي لا يوجد مثلها في البلاد. وأدركني رجل وجيه تذكرت وجه الرجل الذي تزوج من حبيبتي منذ سنوات فاعتذر عن التأخير في بدء العمل لتعاقب الحروب وأكد أن الرأي استقر نهائيا على أن يعود هذا الأسبوع وعلى أن يتم عمله في شهر واحد تعود بعده الحياة لأجمل حديقة في الوجود، وبخلاف المتوقع فإنني صدقته آملا أن يجئ يوم تجمع الحديقة بيني وبين حبيبتي كما جمع بيننا حي واحد في الزمان الأول.

حلم 109

هذا تلميذي يتلقى عني علوم الموسيقي والألحان وسرعان ما أصبح تلميذي نجماً ثريا وظللت أنا في الظل منسيا فتركت عملي الجميل الشاق واشتغلت بتدريس الآثار، وكف تلميذي عن التعلم والعلم وأدمن

المخدرات وعرض صوته للتلف وحدث أن جمعنا حفل ساهر فلا هو عرفني ولا أنا عرفته وأخذت أتساءل مع كثيرين عن تدهورنا وما جرى لنا.

حلم 110

إنه مشوار مرهق وعند نهايته وجدت بوابة الفتوح مغلقة فاستجمعت قواى وجعلت أرفعها حتى استجابت فرأيت وراءها بحيرة تنطلق منها صواريخ كلما بلغ صاروخ الفضاء انفجر باعثاً من الظلمة وجهاً عزيزاً محبوباً، امتلأ الفضاء بالأحبة ومع ذلك فما زلت أنتظر سطوع الوجه الذى علمنى العشق وألهمنى الخلود.

حلم 111

فى الجو غيم وفى الصدور قلق ويترامى إلينا من بعيد صوت لا يتوقف، وقال صاحبى وهو يحذرنى بأنهم يستهدفون حياتنا فقلت له إنى عرفت أخيرا سبيل الخلاص ولا أنكر أنه وعر كثير المقاومة ولكن ليس عندى خير منه فاتبعنى إن شئت وتفكر صاحبى طويلا ثم تبعنى وهو يقول إن الأعمار بيد الله وحده.

حلم 112

يالها من ضوضاء قئمة أصوات متضاربة وخطوات تهرول حيناً وتركض حيناً وصرخة هنا وصرخة هناك، طلقات نارية وامرأة تستغيث بالله. أذهلنى التشابه بين صوتها وصوت المرحومة أمى ومن فورى هرعت إلى السطوح حيث اجتمع إخوتى وأخواتى وحدثت أخى الأكبر عن الاستغاثة والصوت فقال لى بتيقن بأن الصوت هو صوت أمنا دون غيره وليس آخر يشبهه.

حلم 113

أخيرا حضر الوزير الجديد فقدمت له نفسى باعتبارى سكرتيره البرلمانى ولكنه لم يفهم كلمة من كلامى فحاولت شرح عملى ولكنه نهرنى بحدة وأمر بنقلى من وظيفتى وهكذا بدأت المعاناة فى حياتى ثم شاء القدر أن يجمع بينى وبين الوزير فى مكان غير متوقع وهو السجن وبعد أن أفقت من ذهولى أخذت أذكره بلقائنا الأول وما جرى فيه حتى تذكر وتأسف واعتذر وانتهزت وجودنا فى مكان واحد كى أشرح له عمل السكرتير البرلمانى.

حلم 114

جاءت الشغالة الجديدة مصحوبة ببعض أقربائها وكأنهم أرادوا أن يشاهدوا المكان وأهله لتطمئن قلوبهم على ابنتهم الوسيمة، غير أن الوسيمة لم تمكث عندنا إلا نصف يوم ثم ذهبت تاركة فى النفوس غضبا وبلبلة حتى كان ذات مساء فرأيتها تخرج من عمارة قريبة وهى على حال من الانحراف الصارخ فصعقتنى الحقيقة الغائبة وأدركت عمّ كانوا يبحثون فى اللقاء الأول.

حلم 115

فى البدء التهب الخصام حول إصلاح البيت بين الساكنة فى الدور التحتانى ومالكة البيت المقيمة فى الدور الفوقانى وترامت الأصوات إلى الحارة الصغيرة فتُحتْ نوافذ وأبواب وأيّد البعض مالكة البيت. أما الكثرة فأيّدت الساكنة واحتدم الجدل ثم تطايرت الشتائم حتى أنذر الغضب الأحمر بسفك الدماء.

حلم 116

ذهبت لتهنئة صديق قديم على الوزارة ولكن بخلاف المتوقع قوبلت فى المكتب بفتور واضح ثم طال انتظار المقابلة دون جدوى فتسلل إلى ظنى أن بعضهم افترى علىَّ فرية أفسدت الود القديم، وأخيرا غادرت مجلسى لا أرى ما بين يدى واستقبلنى زميل يبقى على وده وقال لى: لعنة الله على ألسنة السوء فسألته ولِمَ لم يقابلنى ويتحقق من الأمر فقال إنه مضى زمن والقانون معطل اكتفاءً بأقوال الشهود.

حلم 117

كنت جالسا فى المقهى وإذا بفتوّة الحى يجلس إلى جانبى دون استئذان فرحّبت به مرغما فقال: إنه اختارنى للزواج من ابنته المطلقة فارتعشت أطرافى وقلت: إننى سأتزوج من ابنة عمى فى نهاية الأسبوع فقال ببساطة وثقة: أنت ستتزوج من ابنتى وأنا سأتزوج من ابنة عمك.

حلم 118

وجدتنى فى ميدان محطة الرمل المزدحم دوما بالبشر ولمحت فى ناحيته الرجل الذى تردد كلماته الألوف وهو يغازل غانية، فهمست فى أذنه: إذا بليتم فاستتروا. فقال: وهل ثمَّ ستر أقوى من ملابسها.

حلم 119

وصلت إلى المحطة فى الوقت الحرج واتخذت موقعى فى الطابور الممتد إلى شباك التذاكر. وظللنا بين القاطرة والشباك حتى انطلقت صفارة الإنذار الأخيرة ومازلت على مبعدة من الشباك، وهكذا فاتنى القطار.

حلم 120

قمنا برحلة إلى المملكة التى تغنى بروعتها الشعراء وهناك انضم كل فرد إلى المرشد الذى اختاره ينتقل به من مشهد إلى مشهد ومن جبل إلى بحيرة ومن متحف إلى مقبرة وقال المرشد: إنه لم يبق من الرحلة إلا الحديقة البللورية ودعانا إلى شئ من الراحة والتأمل كى لايصدمنا الانبهار فسألت: وهل ثمّ انبهار يفوق ما شاهدنا من أحياء وأشياء، فابتسم المرشد وواصل السير ونحن فى أثره.

حلم 121

رأيتني أسير في شارع كورنيش الإسكندرية مستهدفا العمارة التي أرى في إحدى شرفاتها السيدة الأنيقة بصحبة زوجها وأبنائها الشبان فلما فتر الهدف ذاب المنظر ذوباناً سحرياً ناعماً حتى اختفى وحل محله شارع العباسية ومازلت أسير نحو العمارة الجديدة التي تطالعني من إحدى نوافذها الفتاة التي لا تُنسى ولكني وجدت النافذة خالية فقررت الانتظار كالعادة في محطة الترام ولكني لم أجد للمحطة أثرا ولا لقضبان الترام أثرا على طول الشارع.

حلم 122

الليل سجى فاحتوتنا غرفة وهبتنا الظلمة راحة عابرة وفرحاً حميماً وترامت إلينا من الطريق ضجة فهرعت إلى خصاص النافذة فرأيت قوما يحدقون بشخص مألوف الهيئة وينهالون عليه باللعنات واللكمات وهو مستسلم لا يقاوم حتى شعرت باللكمات تخرق جسدي.

حلم 123

هذا ميدان الأوبرا وفيه أسير متجها نحو مقهى الحرية فأدهشني أن أجدها خالية من روادها اللهم إلا شخص منكب على قراءة أوراق مبسوطة بين يديه وسرعان ما تبين لي أنه أستاذي الشيخ مصطفى عبد الرازق فانشرح صدري واندفعت نحوه مشتاقا إلى لقاء حميم غير أنه التفت إليّ متجهما فهبط قلبي وأشار الأستاذ نحو الأوراق وقال لي: آسف إنه قرأ اسمي بين شهود الإثبات فلم أدر ماذا أقول ولا كيف أعتذر.

حلم 124

كثيراً ما اجتمعنا بمكان يقع بين الحقول من ناحية والطريق العام من ناحية أخرى، حتى قال لي صاحبي إن هذا الموقع لا يضمن السلامة في كل الأحوال ومن لحظتها سكن القلق في صدري حتى استيقظت ذات صباح على ضجة وصياح فقمت إلى النافذة فرأيت جموعا لا يحصرها حصر وجماهير لم أميز فيها سوى الغضب الأحمر.

حلم 125

توجهت إلى مسكني فوجدته يمور بالحركة ولا شئ من الأثاث في موضعه وثمة غلمان وبنات لا أعرفهم يلعبون هنا وهناك دون أن يحسوا بحضوري فانقبض صدري ودلفت إلى الشرفة المطلة على حديقة قريبة مني وفيها شجرة ضخمة تمتلئ أغصانها بالعصافير المزقزقة وكانت الزقزقة وحركة العصافير قد أنستني كل شئ غير صوت العصافير وهي تغرد.

حلم 126

ذهبنا لتهنئة الوزير الجديد بوصفنا أصدقاء قدامى فرحب بنا ووجدنا أحباء آخرين فرجعنا معهم إلى عهد الصبا وفي الصباح التالي أذاع الراديو البيان الأول لحركة الجيش وعندما ذهبنا إلى السكرتارية للترحيب قال لنا لا تسببوا في الترحيب قبل أن تعرفوا القادم.

حلم 127

في حديقة هذه الفيلا نجتمع مساء للسهر والسمر في حرية شاملة، ولكن صاحب الحديقة تغير فجأة فاستبد بكل شئ فهو يختار موضع الجلسة وموضوع الحديث والأكل والشرب وحسبناها دعابة ولكنه استمر وتمادى فضقنا به ذرعا غير أننا أخفينا مشاعرنا إكراما للموقف. إلا واحد لم يستطع إخفاء مشاعره وذات مساء انفجر غضبه المكتوم وجن جنونه فصرخ وأخرج من جيبه مسدسا صوبه نحونا بيد مرتجفة فتفرقنا في الحديقة تطاردنا لعناته وشتائمه.

حلم 128

هذا محل لبيع التحف يتألق نورا وبهجة وتجلس في خدمة ضيوفه شابة آية في الجمال وطفت به حتى صادفني مطعم صغير فتناولت ساندوتشا ودخنت سيجارة في رجاج حقيف لرؤية الشابة الجميلة لكني وجدت مكانها امرأة طاعنة في السن فانقبض صدري وأرسلت ناظري باحثا عن الجميلة فمصيت في حيرة بمرأة فوقها مشهد به صورة عجوز يتوكأ على عصا غليظة قد اعياه المشي والقلب والذاكرة.

حلم 129

مازلت في صباحي مستوصيا بالصبر والعزم والاستمرار حتى بلغت مرتفعا أوحى إليّ بأخذ شئ من الراحة وهنا لمحت صبيا يكافح للصعود فرق له قلبي ومددت له يدي ولكنه جذبني بقوة لم تجرني في جناحه فهربت أتدحرج ولا أملك لنفسي شيئا.

حلم 130

صحوت من نومي على أصوات تناديني غير عابئة بوقار الليل وسرعان ما عرفت منها أصوات صديقات الزمن الأول وكن يذكرنني بالميعاد الذي لم أنجزه فتلفحت بالروب وهرولت إلى الخارج ولكني وجدت الشارع خاليا والصمت سائدا.

حلم 131

لقاؤنا في هذا الركن من الغابة وحياتنا طرب مستلهم من المواويل، وسماؤنا سحب من دخان رقيق عاطر، ونحن كأننا نائمون أو غافلون وذات يوم اقتحم هدوءنا غناء غريب مجنون الإيقاع شديد الصخب فذهلنا ورأى بعضنا إسكاته ولو بالقوة، على حين آثر البعض التأمل والحكمة، وعلى أية حال فقد استيقظ النائمون وتنبه الغافلون.

حلم 132

هي وأنا ماضيان كالعادة إلى ملهى من الملاهي وفي الطريق استأذن دقيقة ريثما يشتري سجائره ولما رجع لم يجدها فعلم على ظنه أنها سبقته إلى الملهى المتفق عليه فذهب إليه ولكنه لم يجدها فراح ينتقل من ملهى إلى ملهى باحثا عنها وحتى هذه اللحظة لم يكف عن البحث.

حلم 133

جائزة مقدراها مائة جنيه لم أعرف قبلها من النقود إلا راتبي الصغير فأملت أن تكون الخطوة الأولى في طريق الثراء، فكم من زميل بدأ من الصفر ثم أصبح من كبار الأغنياء وسألت أحدهم عن الوسيلة فضحك وقال لا تسل عن الوسيلة فلا يجهلها أحد ولكن سل عن الشخص والزمن.

حلم 134

جمعتنا المواعيد في الطريق الزراعي فجعلنا ننشد الأشعار ونغني ما طاب لنا من الألحان حتى سرقنا الوقت فغاب قرص الشمس ونحن لا ندري فتذكرنا أنه عند هبوط الظلام يترامى إلينا عواء الذئاب من جهات كثيرة.

حلم 135

اشتقت لرؤية أهلي فانتقلت من فوري إلى البيت القديم وهالني أن أجده غارقاً في الظلام كأنهم استأنسوا بالظلمة فناديتهم معاتباً رجلا رجلا وامرأة امرأة ولكن لم يجبني أحد. رجعت أكرر النداء حتى دمعت عيناي.

حلم 136

رقد جثمان أختي على الفراش ووقفت أمامه ومعي حبيبتي خاشعين على حين تربعت على الفراش صبية جملية تغني غناء شجيا وجرى الزمن فأصبح الجثمان الراقد على الفراش هو جثمان حبيبتي ووقفت أنا وأختي أمام الفراش خاشعين وظلت الصبية في موضعها تغني غناءها الشجي.

حلم 137

يالها من حديقة لا أول لها ولا آخر يقطر من سمائها الصفاء وتتوارى أرضها تحت الشجر وجلسنا في ظل شجرة لنأكل ونشرب وإذا بصوت يخبرنا بأن المغنيات والراقصات آتيات آتيات وصوت آخر يحذرنا من الاستماع إلى الأمثال والحكم التي تذم تقلب الدهر وغدر الأيام وقال إن حسبكم هذه الهبات من الأشجار المثقلة ثمارها بالهناء والسرور.

حلم 138

شارع طويل عريض وأنا أسير فيه على مهل غافلا عما حولي وإذا بيد تربت على كتفي فالتفت أمامي فرأيت امرأة آية في الجمال والرشاقة ودهشتُ، فابتسمتْ، فابتسمتُ، فأسرعتْ نحو بيت أنيق أخضر فاستقر رأيي على أن أتبعها ولكنني التفت حولي لحظة ليطمئن قلبي وفي هذه اللحظة تدفق جنود الأمن حتى سدوا الطريق سدا وتعذر عليّ التقدم ولكن عينيّ لم تتحولا قط عن البيت الأنيق الأخضر.

حلم 139

هذا معرض اشتهر بصوره الفنية التي تتغير شكلا ومضمونا كلما اقترب منها المشاهد، وأول ما طالعني صورة غابة آية في الجلال ولما اقتربت خطوة تلاشت الغابة وحلت محلها صورة امرأة عارية متعددة المحاسن وعند الخطوة التالية غابت المرأة وظهرت محله صورة معركة حامية الوطيس اشتعلت فيها كافة أنواع الأسلحة من الأحجار وحتى الإلكترونات.

حلم 140

هذه امرأة ثرية المحاسن ما إن رأيتها حتى غازلتها وإذا بزوجها ينقض عليّ ويأبى أن يتركني إلا في القسم ولكن تدخل رجل من حيّنا اشتهر بين خاصة معارفه بالدعوة إلى الحرية المطلقة فقررت بعد أن لقنني درسا لا ينسى، ويتجسد لي كلما قابلت امرأة حتى رأيت نصبي وجه لوجه مع المرأة الجميلة فهممت بالجري ولكنها أقبلت عليّ باسمة وتأبطت ذراعي وهي تهمس بأن زوجها اعتنق أخيرا دعوة الحرية المطلقة.

حلم 141

هذا حينا القديم وهذا أنا أجول في أركانه حاملا في قلبي ذكرياته ثم خطر لي أن أقيم في البيت القديم حتى تخف أزمة المساكن ولكن تبين لي من أول يوم أنه لم يعد صالحا للحياة الحديثة.

حلم 142

هذه القطعة من الأرض الفضاء هي ميراثي الوحيد وقد أطلق عليها اسم الخرابة لطول ما عانت من إهمالها وما أن رُزقت بعض المال حتى فكرت جاداً في تعميرها ولكني لم أقدم لكثرة ما عرفت من حوادث النصب وفساد الذمم حتى سألت جاري الحكيم: ألا يوجد في الدنيا شخص خيّر؟ فأجابني بأنه موجود ولكن يتطلب العثور عليه عزما وشجاعة وبحثا لا يتوقف.

حلم 143

سمعت صوتاً غير مألوف فمرقت بسرعة إلى فناء العمارة فرأيت رجلاً غريباً أثار في نفسي الريب فناديت البواب ولفتُّ نظره إلى الرجل الغريب فأخبرني بهدوء أنه موظف ويؤدي واجبه الرسمي وهو أخذ الزائد من الأفراد من المساكن المكتظة وينقله إلى مسكن يتسع له فاعترضت قائلاً إنه يأخذ فردا من أسرة ويخلف حزنا وينقله على رغمه إلى مكان لا يرحب به فقال البواب بأن هذا هو القانون ونحن لا نملك حياله إلا الإذعان والتسليم.

حلم 144

نظرت في ظلمات الماضي فرأيت وجه حبيبتي يتألق نورا بعد أن دام غيابها خمسين سنة فسألتها عن الرسالة التي أرسلتها لها منذ أسبوع فقالت إنها وجدتها مفعمة بالحب ولكنها لاحظت أن الخط الذى كُتبت به ينم عن إصابة كاتبه بداء الخوف من الحياة وبخاصة من الحب والزواج، ولما كنت مصابة بنفس الداء فقد عدلت عن الذهاب إليك وفكرت فى النجاة فلذت بالفرار.

حلم 145

هذا مهرجان عظيم جمع العديد من رموز الأمم ونادانى رئيس المهرجان وسلمنى كرة وهو يقول إنها هدية المهرجان لك، وهى من الذهب الخالص وانهالت علىّ التهانى ولما رجعت أعلنت نيتى على التبرع بنفس الهدية لأعمال الخير فجاؤوا بمنشار وأخذوا يقسمونها ولما وصل المنشار إلى باطن الكرة دوى المكان بانفجار مزلزل وتطايرت شظايا الضحايا من الإنسان والحيوان والنبات والجماد.

حلم 146

انقض العدو واشترط لوقف القتال أن يتسلم تمثال النهضة الذهبى المحفوظ فى الخزانة التاريخية وذهبت مع فريق لنحضر مفتاح الخزانة المحفوظ بالصندوق الأمين ولما كشفنا غطاء الصندوق تبدّى لنا ثُعبان مخيف ينذر بالموت كل من يدنو منه فتفرقنا وأنا أدارى فرحتى وأدعو للثعبان بالسلامة والتوفيق فى حفظ المفتاح.

حلم 147

دُعيت لاجتماع عاجل لسكان العمارة وهناك أطلعونى على قرار صادر ضدى بإخلاء الشقة ورحت أناشدهم العدل وأناشدهم الرحمة حتى قال لى صاحب العمارة إنه لم يعقد هذا الاجتماع للبحث عن العدل والرحمة ولكن للتأكد من مطابقة القرار للقانون.

حلم 148

اشتدت المنافسة بين القطارات وبين سيارات الطرق الزارعية وأخيرا اجتمع المسئولون عن القطارات وقرروا تخصيص عربة قطار للعربدة والنساء فى نطاق الحرية المطلقة، كما قرروا إنشاء صالة فى كل عربة قطار للشرب والغناء والرقص ورحت أشرب وأغنى وأرقص منتظرا فرصة للتسلل إلى عربة المسرات.

حلم 149

اجتاحت الثورة المدينة وقُتل الملك وهو يدافع عن مدينته وسرعان ما أولمت وليمة فاخرة لقادة الثورة ودعت الملكة زعيمها إلى جناحها الخاص وهناك استقبلته عارية تماما كاشفة عن مفاتنها.

حلم 150

اشتدت الأزمة حتى أشفى التاجر الكبير على الإفلاس ولم يجد من يقرضه في طبقته التى أنهكتها الأزمة ولكن تقدم بياع العرقسوس بقرض دون فوائد ولما حان وقت السداد بلغت الأزمة ذروتها حتى فكر التاجر في الانتحار ولكن أسعفه بياع العرقسوس بقرض جيد، وطلب منه أن يعتبر القرضين مهرا لابنته وقالوا إن التاجر وجد أخيرا حلا لأزمته فقال بياع العرقسوس فى سره أنه أيضا وجد حلا لأزمته التى لم يبح بسرها لإنسان.

حلم 151

كنا نجلس حوله للسمر الممتع والمفيد تحت الشجرة ويوما استأذن منا دقيقتين لتناول الدواء وصعد إلى شقته ولكنه غاب فأرسلنا أحدنا ليطمئن عليه فوجد الشقة معلقة بالقفل من الخارج. ومن ثم بدأت رحلة البحث غير المجدية عنه فى جميع مناطقه، وأخذ يساورنا القلق يتساوى فى ذلك المحبون والكارهون والمستفسرون، أما إمام المسجد فقد دعا إلى أداء صلاة الغائب على روح الغائب.

حلم 152

ذهبت مدعوًا إلى الدار الشهيرة فى الاحتفال بعيدها الذهبى وهناك وجدت البهو مكتظا بمختلف الطوائف وجميع أصناف الكلاب ووقف الداعى فرحب وشكر ورجع إلى الذكريات التى لا تنسى حين هجم عليهم كلب متوحش وكاد يفتك بهم جميعا لولا أن تصدى له رجل جسور فألقى بنفسه عليه ولأول مرة يعض آدمى كلبا حتى امتص منه وحشيته فتغيرت الطبيعة الكلبية وتغيرت معاملة الكلاب للبشر وهاهم يجلسون جنبا إلى جنب فى سلام ويتناولون الحلوى وفى الختام وقفوا جميعا وتغنوا بنشيد بلادى بلادى.

حلم 153

رأيتنى فى قارب شراعى مع نخبة من صفوة القوم تحدق بنا المياه من كل جانب فانقبض صدرى لجهلى التام بالسباحة وارتفع الموج من صمت عميق ينذر بالانفجار فألقت الصفوة بنفسها فى الماء وراحت تسبح بقوة ورشاقة وازددت أنا انتباها وتذكرت الوقت الطويل الذى ضاع فى اللهو وكان بعضه يكفى لتعلم السباحة والتدريب على الإنقاذ من الغرق.

حلم 154

دفعتنى أنا وصديقتى المذيعة أمواج متلاطمة من البشر حتى توقفت فى ميدان صغير أمام سد من البشر لا يسمح بنفاذ إبرة ونظرت فرأيت فى الجهة المقابلة محل الحلوانى الذى اعتدت أن أفطر فيه ولكنى لم أستطع الحركة وقلت لصاحبتى إن برنامجها عن النصر سيتعطل قليلاً، فقالت: على كل حال أنا عندى خبر مثير، فقد مات فى الزحام المجاهد الكبير مكرم عبيد فخفق قلبى حزنا على موت البطل وهناك رآنى نادل محل الحلوانى فوضع بعض الأرغفة فى كيس من الورق ووقف على كرسى ورماه من فوق الرؤوس فتلقفته

بلهفة وفتحته ولكن يد صحبتي سبقتني إليه وهي تهمس بالمعذرة، وأنا أكاد أموت جوعاً، ثم مددت يدي داخله فلم أجد سوى بعض المخلل الأفرنجي.

حلم 155

بلغني أن نزلة برد خفيفة ألمت بأستاذي الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق فقررت أن أعوده ولكني وجدته واقفاً على باب داري والدموع تنحدر على خديه فهالني منظره الحكيم إذا بكى وقلت له: يا مولاي ما هي إلا وعكة خفيفة لا تستحق الدموع، فقال لي: أنا لا أبكي على حالي فأدركت ما يعني من أن البكاء على حالنا نحن وانتهزت الفرصة وسألته عن العباد؟ فقال: عندكم الكثير من الصيدليات مليئة بالأدوية إضافة إلى الوصفات الشعبية المجربة.

حلم 156

أخيراً تنمرت القطة الوديعة وهاجت رياح الغضب وتساقط الشرر يشعل الحرائق حيثما وقع ولن أجد من أكلمه إلا الرياح فقلت لها عندنا وسائل سلمية كنا على وشك استعمالها، فقالت ما فت وقته تعطل فعله واستمرت زمجرة الرياح وتساقط الشرر.

حلم 157

لم يبق في الحياة إلا أسابيع فهذا ما قرره الفحص الطبي فحزنت حزناً شديداً ثم تملكتني موجة استهتار فأقبلت أتناول الأطعمة التي حرمها عليّ الأطباء من سنين ولازمت صديقتي "س" وعرضت عليها الزواج فدهشت وقالت لي: إنك تفقد صداقة بريئة عظيمة ولا تكسب شيئاً فألححت عليها حتى رضخت وبعد يومين جاءني صديق طبيب يخبرني بأن هناك أخصائياً عالمياً سيزور مصر وأننا حجزنا لك مكاناً عنده فهنيئاً لك بفرحة الحياة وغمرني سرور من رأسي لقدمي غير أنني تذكرت الأطعمة الضارة التي التهمتها والزواج الذي قيدت به نفسي على غير رغبة فشاب فرحتي كدر وقلق.

حلم 158

كلفني الوزير بالتنقيب في مخزن الفن التشكيلي بالوزارة تمهيداً لإقامة معرض فأخذت مجموعة من الفراشين لإزالة الغبار وقتل الحشرات ولاحظت وجود لوحة كبيرة مغطاة فأزحت الغطاء عنها فطالعتني صورة الزعيم سعد زغلول جالساً على كرسي الرياسة وشابكاً يديه فوق عصاته. فتأثرت لإهمال الزعيم الذي تربيت في مدرسته الوطنية وإذا بالحياة تدب في الصورة فترمش عيناه ويبدل يديه فوق العصا ويتجلى في عظمة لا مثيل لها وسرعان ما جاءت الوفود من أبناء جيله تحييه وتشكو إليه ما أصابها من ظلم وسرعان ما نسيت تعاليم الوزير والمهمة التي انتدبت لها وانضممت إلى أكبر مجموعة وهي التي كان يتقدمها مصطفى النحاس.

حلم 159

تلقى بعض الحرافيش دعوة من الأستاذ سعد الدين وهبة فذهبنا إلى مقابلته وهناك رحب بنا وأطلعنا على بيان سيرفعه إلى كبار المسئولين لتطهير الهيئة من الساسة المنحرفين ودعانا إلى التوقيع عليه بإمضاءاتنا فاستجبنا بحماس وعند فجر ذلك اليوم اخترق بيوتنا زوار الفجر وساقونا معصوبى الأعين إلى المجهول.

حلم 160

عرفت بمصادفة أني أستطيع الرؤية خلف الأبواب المغلقة فدهشت وسررت وذهبت إلى البهو فوجدت الإخوان ملتفين حول مائدة القمار ودعتنى الفتاة التى تقدم المشروبات إلى كرسى خال فجلست وأنا مطمئن ونظرت إلى ظهر الأوراق فرأيت باطنها فضمنت الربح ولكن صوتا قال لى: إن الذى أعطاك هذه الموهبة قادر على استردادها إذا استعملتها فى الشر فانسحبت من الجلسة إلى البوفيه وفى آخر الليل جاءتنى الفتاة لتخبرنى أن الذى كسب المائدة وجُد قتيلا مسروقا فدهشت ثم قالت الفتاة إنها كرهت هذه المهنة فمددت لها يدى ومدت لى يدها وسرنا معاً دون مقاومة.

حلم 161

فى البدء حامت حولي فتاة صغيرة رشيقة ثم أخذتنى من ذراعى إلى ركن منزو توجد فيه عربة كارو مركّبٌ فيها حمار وصعدت إليها وأشارت إلىّ فصعدت وتربعت إلى جانبها وتناولت اللجام وحرّكته بخفة فقد صار الحمار يشق طريقه ببطء شديد وسط زحام الناس والمركبات حتى بلغ الطريق الصحراوى فأخذ يسرع ويسرع حتى سبق السيارات والأوتوبيسات وكأنه يطير طيرانا فذهلت وسألت الفتاة: إلى أين؟
فأجابت: إلى المكان الذى تخور فيه قوى الحمار فيتوقف.

حلم 162

قررت أن أسير من جنوب الوادى إلى شماله مشياً على الأقدام وقابلتنى فى أوائل الرحلة رفيقة الطفولة والصبا وقد سمنت سمنة مفرطة ونصحتنى بأن أتزوج عوضا عن هذه الرحلة العقيم فشكرتها وواصلت السير حتى قابلت صديقي متربعا على سجادة الصلاة فدهشت وذكرته بأيام العربدة والإلحاد فقال لى: الهداية من الله سبحانه ودعانى إلى الجلوس إلى جانبه فوعدته خيرا وواصلت السير وفى منتصف الطريق أقبلت علىّ وحيتنى قائلة: إننى طاردتها بنظراتى حتى استجابت وانتظرت أن تتقدم لأبى ولكنك لم تخط خطوة واحدة بعد النظر فما سر ذلك؟ فقلت لها: إنى مازلت أتساءل مثلك وواصلت السير حتى بلغت الشمال منهك القوى متورم القدمين فرأيت الحبيبة الخالدة نصفها مغموس فى مياه البحر الأبيض والنصف الأعلى يضئ الأمكنة من حوله وسألتنى بصوتها الرخيم ماذا جنيت من هذه الرحلة الشاقة؟ فسألتها بدورى كيف يدوم حب بلا أدنى أمل طوال هذا العمر المرير.

حلم 163

ميدان المستشفى بالعباسية شاهد أول لقاء لى مع الآنسة "ر" واشتعل الحوار بين الحب واليأس حتى حسمته بقولي: الحب وحده لا يكفى، وكان اللقاء الثانى فى جزيرة الشاى ولكنه كان مع الأرملة "ر" التى قصدتنى

لخدمة تتعلق بوظيفتها وأيقظ اللقاء العواطف الكامنة فتطرق الكلام إلى حوار بين الحب من ناحيتي واليأس من ناحيتها حيث كانت ترعى أربعة أبناء وحسمت الحوار بقولها: إن الحب وحده لا يكفي.

حلم 164

هذا بيت صديقتي الست "ح" وقالت لي ابنة أختها إنها عند الدكتور وأرادت أن تعد القهوة فأمسكت بيدها وجذبتها إلى جانبي وأوحى لنا خلو المكان بما أوحى وإذا بالست "ح" تفاجئنا فتغير وجهها وقالت للفتاة ارجعي إلى أمك في الحال وحدجتني بنظرة حجرية وغادرت المكان وأمطرت السماء فأشفقت على الفتاة وغادرت البيت مستهينا بكل شئ واخترقت المطر وأنا أناديها وبعد حين سمعت صوت الست "ح" يناديني وغرق ثلاثتنا تحت المطر.

حلم 165

قرأت في المجلة مقال نقد قاس لشخصي وأعمالي بقلم الأستاذ "ع" وإذا به يمثل أمامي معتذرا ويقول إنه يقصد بالمقال أن يكون أساس حوار بيني وبينه يحدث ضجة تعيد الغائب إلى الوجود فقلت له: من يصدق هذا الحوار وأنت ميت منذ 15 سنة فقال إنه يعتمد على أن الأجيال الحديثة فاقدة الذكرة.

فقلت له: إن المقال أحب إلى نفسي من الانفعال والخداع!

حلم 166

وجدتني في القطار ببلدة النور وكانت العربة خالية فبث الخلو الرهبة في نفسي وتحسست محفظتي وناوشتني المخاوف وعند أول محطة أردت النزول فرأيت على رصيف المحطة رجالا تنطق وجوههم بالشر والعدوان فتراجعت إلى مكاني وقد ازدادت مخاوفي وإذا بفتاة وسيمة تصعد إلى العربة وتجلس غير بعيدة عني فسألتها هل تحرش بها الرجال فأجابت بأنهم في غاية التهذيب والأدب فذهلت وساورني شك في أنها متآمرة معهم للإيقاع بي وذهبت إلى آخر العربة متحفزا للدفاع ووصل القطار إلى بلدة النور فغادرته إلى أول حديقة من حدائقه التي لا تحصى وهناك هفا عليّ نسيم معطر بروائح الورد والفل والياسمين والحناء فتسلل إلى جفوني النعاس واستسلمت له متناسيا المحفظة والمخاوف ونمت نوما هادئا عميقا على أنغام موسيقى تأتي من الداخل.

حلم 167

هذه شركة إنتاج وهذا مديرها يخبرني بأن النص الذي قدمته قبل وأن المخرج قرأه وهو راض عنه وإليك العقد والشيك غير أننا جعلنا النص قسمة فاسمك على القصة واسم الموزع على السيناريو واسمي على الحوار وذلك لصالح الفيلم من الناحية التجارية وقبلت ذلك على مضض وهنا دخل المخرج واطلع على العقد وصاح أين أنا في هذه القسمة فقال له المنتج يمكن أن تضع اسمك على القصة مع المؤلف فاجتاحني غضب وقلت أنا متنازل عن القصة كلها ولكن المدير قال لي إنهم يتعاملون مع الناس على أساس من مبادئ الأمانة والشرف وعليه فلا نقبل حذف اسمك.

حلم 168

هذه حجرة مدير المستخدمين وأنا واقف أمام مكتبه وأسائله كيف تتخطانى فى الترقية والقانون معى مائة فى المائة فقال لى: أقم دعوة وستكسب القضية. وذهبت إلى مدير التحقيقات وقدمت شكوى ولكنه أقر عمل الإدارة ولكن أذهلنى أن وجهه نسخة دقيقة من وجه مدير المستخدمين وذهبت من فورى إلى المحامى وشرحت مشكلتى فوعدنى خيراً ودفعت مقدم الأتعاب ولكن ذهلت أيضا أن وجهه نسخة أيضا من وجه مدير المستخدمين ومدير التحقيقات وذهبت إلى الطبيب ففحصنى بدقة ولكن لاحظت أن وجهه نسخة طبق الأصل من سابقيه وفى آخر النهار رجعت إلى بيتى وفى الطريق شعرت بجسم بارد يوضع على رقبتى وسمعت صوتاً يقول لى من وراء: النقود أو حياتك. فسلمته ما معى من نقود فأخذها وهرب ولما أفقت من اضطرابى سألت نفسى ترى أين سمعت هذا الصوت فمؤكد أنى لا أسمعه لأول مرة فأين ومتى سمعته؟!

حلم 169

وقفت مع المدير العام الأجنبى نشاهد سير الزفة بين الزغاريد والطبول واصطحبنى إلى حجرته فى الفندق وهو يتساءل عن هذه الضجة التى لاشك تؤذى النزلاء من السواح فقلت له: إنها تقاليد الزفاف المصرى وهى من الموارد الثابتة للفندق فقال إذن اشترط فى العقد ألا توجد ضجة فقلت: لا أستطيع، فقال غاضباً: هذا أمر وعليك تنفيذه وذهبت من فورى إلى الإدارة المركزية وعرضت الأمر على المدير فقال إن هذا الرجل الأجنبى نفعنا كثيراً بعلمه وتجربته فعليك الاتفاق معه أو إقناعه أو تقديم استقالتك ورجعت وأنا أفكر وأتساءل عن مصيرى؟!

حلم 170

جددت البيت القديم الذى ولدت فيه ولما انتهى العمال ذهبت إليه وتفقدت حجراته وتذكرت، ثم دخلت الشرفة ومن خصاص نوافذها رأيت ميدان بيت القاضى وقسم الجمالية وتوابعه والحنفية العمومية وأشجار دقن الباشا ثم سمعت ضجة فى الداخل فدخلت فرأيت زملاء الصبا الذين توفاهم الله يهرعون إلىّ فرحين ثم رددوا أناشيد الصبا الوطنية وإذا بضابط ومعه قوة من الجنود يقتحمون البيت فسد الصمت وسأل الرجل عن الذين كانوا يغنون فقلت ليس فى البيت سواى ففتشوا البيت ثم قادونى إلى القسم وهناك وجهت إلىّ التهم بالتستر على مجرمين والتحريض على قلب نظام الحكم وقال لى المحامى فيما بعد: اطمئن فليس لديهم دليل واحد ولكنى لم أطمئن فرحت أتساءل عن مصيرى؟!

حلم 171

فى هذا البهو يستريح الزملاء وقد جلست ألاعب مدير مكتبى الدومينو وفاجأنا الوزير وأعلن أنه عين مدير مكتبى فى وظيفتى وأحالنى إلى المعاش وارتاع الزملاء وفكروا فى الأمر فتفق الأمر بينهم أن هذا الأمر مخالف للقانون ولكنهم انقسموا بعد ذلك فرأت فئة الاتصال بالوزير بالحسنى ورأت الفئة الأخرى وجوب إقالة الوزير لاستهتاره بالقانون واشتد الجدل بينهم وانحدر إلى تبادل السباب والشتائم والضرب بالأيدى

والأرجل وقلت لهم إن سلوككم هذا قد قضى على قضيتي بالفشل فدفعوني حتى سقطت على وجهي وكان الوزير يتابع مايحدث ويقهقه ضاحكا!

حلم 172

ذهبت إلى الحمام العمومي لأزيل عن جسدي وروحي ما علق بهما ودخلت في حجرة البخار ووقفت عاريا أنتظر من يدلكني ولكن دخلت فتاة وسيمة وتعرت عن مفاتنها وراحت تدلكني برقة ورشاقة واستاء جميع من علم بذلك ولكني لم أبال وشكرت الحظ على نعمته!

حلم 173

مار معي موظفو مكتبي فرأيت أقبح مدينة في الوجود واقترحوا تحسين الشوارع والميادين وإنشاء الحدائق ولما اجتمعت بهم في مكتبي قلت لهم إن ما يهمني هو ما ينفع الناس مثل الصرف الصحي والصحة العامة وتوفير المدارس والمياه والكهرباء ثم دعوت الأعيان إلى تقديم ما يقترحون من تسهيلات لاستثمار أموالهم في البناء والتعمير!

حلم 174

قال لي صاحبي وهو يحاورني إن المصري بطبيعته فلاح أو حرفي أما التقدم في الإدارة والسياسة والعلم والحضارة فمرجعه إلى الأجانب أو المتمصرين فقلت: لا دخل للطبيعة في ذلك ولكن الأجانب والمتمصرين شاركوا في السلطة والمال ووجدوا الفراغ للإبداع وقد تغير الحال بمشاركة المصري في الثورة ضد الاحتلال الفرنسي والثورة ضد الاحتلال البريطاني وتأييد عرابي وسعد زغلول وجمال عبد الناصر فأصبح يشارك في السلطة وتجلت إبداعاته في جميع مناحي الحياة!

حلم 175

رأيتني مدير قسم الأملاك بوزارة الأوقاف واكتشفت أن بعض السكان لا يدفعون الإيجار بالاتفاق مع بعض الموظفين فصممت على استرداد المال الضائع وتحويل المسئولين إلى التحقيق، ولكني وجدتني معزولاً ومقدماً للتحقيق بتهمة الإساءة إلى سمعة الوزارة وكانت معركة.

حلم 176

رأيتني ضابطاً مكلفاً بالقبض على الفنان "ى" والحق أني كنت معجباً به محباً له رغم احتقاري لإدمانه المخدرات ودعي الفنان لإحياء حفلة غنائية فذهبت إليها ولكنني أجلت القبض عليه حتى يتم غناءه وراح هو يجود ويكرر:

أمانة يا رايح يمه

تبوس لي الحلو في فمه

وقل له عبدك المغرم ذليل

حلم 177

أقيم سرادق كبير للاحتفال بالحزب الجديد وظهر فى المنصة الزعيم مصطفى النحاس واستقبل بالهتاف وألقى خطابا يشرح فيه مبادئ الحزب وفى مقدمتها الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية ولما رجعنا إلى المكان الذى نجتمع فيه كل مساء قلت لهم إننى لما رأيتهم يهتفون ذكرتهم بفرحتهم يوم حريق القاهرة وإقالة وزارة النحاس فقال لي أحدهم إن تلك الفرحة هي خطيئتهم الكبرى وأنهم كفروا عنه في اجتماع اليوم.

حلم 178

صدر قرار بأن يتولى الوظائف الممتازة والعليا المصريون ممن ينتمون إلى أصول تركية أو مملوكية فوجدت نفسي فى الشارع أسير على غير هدى حتى نادانى صديقى صاحب دكان الحلوانى وعرض على أن أعمل كاتب حسابات في محله ولكن جاءنا صوت أبيه من مجلسه بركن المحل قائلا لا تدع العواطف الشخصية تفسد عملك فواصلت السير على غير هدى.

حلم 179

زارنى المرحوم صديقي الحميم وسألنى عن أسباب حزنى فقلت له إن ضعف السمع والبصر حال بينى وبين مصادر الثقافة المقروءة والمسموعة والمرئية فمضى بي إلى دار نشر يديرها أحد زملائنا في الجامعة وسأله عن كتاب يجمع الأفكار الحديثة فى العلم والفلسفة والأدب فجاءنا بكتاب ضخم ثم أهدانا طبعة أخيرة من القرآن الكريم قائلا إن التفسير الموجود به غير مسبوق فأخذناها وفى الطريق قال لى صديقى سأزورك كل مساء وأقرأ لك سورة من القرآن الكريم وفصلاً من الكتاب حتى نختمهما فدعوت له قائلا: يرحمك الله ويسكنك فسيح جناته.

حلم 180

رأيت أستاذى الشيخ مصطفى عبد الرازق وهو شيخ الأزهر، وهو يهم بدخول الإدارة فسارعت إليه ومددت إليه يدى بالسلام فصحبني معه ورأيت في الداخل حديقة كبيرة جميلة فقال إنه هو الذى أمر بغرسها نصفها ورد بلدى والنصف الآخر ورد إفرنجى وهو يرجو أن يولد من الاثنين وردة جديدة كاملة فى شكلها طيبة فى شذاها.

حلم 181

قال صديقي وأستاذي وهو يودعني: رحلة طيبة وإن شاء الله تعثر على هدفك وسرت وانهالت عليّ الخواطر الجميلة التي انعكس جمالها على روحي فحنّ قلوب المحسنين عليّ فلم أشعر بحاجة إلى غذاء أو شراب أو لباس ولكني لم أنس مدينتي طول الوقت وأخيراً رجعت إليها فسألني صديقي وأستاذي هل وجدت هدفك فأجبته سأجده هنا بين الآلام والآمال ولكن ببصيرتي الرحالة وبصبري المقيم.

حلم 182

زارتنا "س" وهي زوجة صديق قديم وكانت يوماً خطيبتي وقالت لي: أنت السبب في إفلاس زوجي فقلت لها أنه أطلعني على فكرة وجدتها صالحة كأساس لفيلم سينمائي، ولكنه أبى إلا أن يكتب السيناريو وينتجها بثروته المحدودة مع جهله التام بكتابة السيناريو والإنتاج فكانت النتيجة الإفلاس، فقالت لي: كان يجب أن تنصحه، فقلت لها: نصحته كثيراً ولكنه أصر على الخطأ.

حلم 183

نحن موظفان في مكتب الوزير ونتطلع إلى المزيد من القرب منه معتمدين على العمل، إضافة إلى أن زميلي يدس لي بما يسئ إلى سمعتي، ولكني لم أقابل الشر بالشر إيماناً بأن القرب يقتضي النقاء، وبعد اعتماد الميزانية أصدر الوزير قرارين الأول بنقل زميلي إلى وظيفة أخرى بالوزارة، والآخر بتعييني سكرتيراً برلمانياً للوزير وهو عمل يتيح لي مقابلة معاليه أكثر من مرة في الأسبوع فأدركت أنه عليم بما يجري في مكتبه.

حلم 184

قرأت مقالة الكاتبة "ك" التي تتضمن نقداً لاذعاً لي ثم رأيتني أسألها في النادي ألا تذكرين كيف وقفت إلى جانبك في محنتك؟ فقالت: لا يمكن أن أنساها إذ كنت الوحيد الذي تصدى للدفاع عني ضد هجمات النقد الشرسة على كتابي، ولكن بعد فترة هدوء وتأمل تبين لي أن النقد كان على حق، وأني استعملت الجنس لأغراض تجارية ولكنك دفعت عني لغرض في نفسك نلته، فسقطت في نظري، فلقنني قولها درساً قاسياً!

حلم 185

هذه الإسكندرية واليوم وقفة العيد الصغير وأنا أتنقل من سمسار إلى سمسار فلم نعثر على حجرة خالية فقررت يائساً الرجوع إلى القاهرة، وفي محطة الرمل قابلت صديقي "أ" فلما علم بمشكلتي دعاني للنزول في شقته حتى تنقضي أيام العيد وهي شقة في شارع سعد زغلول وتقوم على نظافتها أم زينب، فقبلت دعوته وشكرته وقلت له إنني قابلته مصادفة ولكنها أسعد مصادفة في حياتي، وتمر الأعوام حاملة عجائبها وعندما أخلو إلى نفسي أتذكر تلك المصادفة التي أثبتت الأيام أنها أتعس مصادفة في حياتي!

حلم 186

أراني أسير في جنازة صديق عزيز ورأيت بين المشيعين صديقي "ب" بعد غياب سنوات في الخارج فسلمت عليه وهو واسع الثقافة غير أنه غريب الأطوار ومغرم بالحداثة في الفنون والحياة وسألته عن حرمه التي كانت تماثله في كل شئ فأجابني بأنه طلقها وتوقفت الجنازة أمام المسجد وحُمل النعش إلى الداخل للصلاة عليه ونودي للصلاة بين المشيعين وإذا بصديقي يدخل مع الداخلين فلم أصدق عيني وذهلت ذهولاً شديداً!

حلم 187

عندما رأيت الأنسة "ب" خفق قلبي كما خفق عند أول حب وتابعتها أنهل من عذوبة الحب ولوعة الحرمان ولا أزيد وأراني مع ابنة أختي وهي تسألني حتى متى تبقى أعزب يا خالي؟! ورشحت لي الآنسة "ب" زميلتها في المعهد العالي فأيقنت أن وساطتها جاءت بعد اتفاق مع "ب" واسعدني ذلك ولكنني شعرت بخوف لا أدري كنهه ودفعني للهروب فغيرت طريقي مختفيا حتى سمعت أنها خطبت إلى شاب لائق وأراني واقفا أمام معرض مصور أشاهد الفتاة مع زوجها في ثوب العرس فرجعت إلى النهل من عذوبة الحب ولوعة الحرمان ولكن في إطار من الأمان!

حلم 188

رأيتني أسير مع الشيخ زكريا أحمد نحو هضبة مغطاة بخمائل الأزهار وتقف في مركزها أم كلثوم ووفد أهل الفن الحامولي وعثمان والمنيلاوي وعبد الحي حلمي وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب ومنيرة المهدية وفتحية أحمد وليلى مراد وغنت أم كلثوم قائلة سمعت صوت هاتفا في السحر وأخذت تكرره حتى ساد القلق بيننا ثم أخذ صوتها ينخفض رويدا رويدا حتى تلاشى وغنت منيرة المهدية قائلة:

ليلة ما جَة في المنتزّه يا دوب قعدنا والكأس في ايدنا هف طلع النهار.

وغنى سيد درويش:

زوروني كل سنة مرة حرام الهجر بالمرة.

وغنى الشيخ زكريا:

يا عشرة الماضي الجميل ياريت تعودي.

أما أنا فتلوت الفاتحة!

حلم 189

رأيتني وزيرا في وزارة يرأسها مصطفى النحاس وجعلت أفكر في مشروع إنشاء مدارس أولية وابتدائية وثانوية بلا مصروفات ولا رسوم للمتفوقين والمتفوقات من أبناء الفلاحين والعمال، على أن نتابعهم

بالرعاية في الجامعة والبعثات، وعرضت الموضوع على الزعيم فرحب به وأضاف إليه تعديلاً أن تخصص تلك المدارس للمتفوقين والمتفوقات من أبناء الأمة كلها وطلب مني أن أقدم المشروع في مجلس الوزراء القادم ووعد بتأييده.

حلم 190

علمت أن صديقي "ج" معتصم بحجرته ويهدد بالانتحار فانتقلت إلى بيته ووجدت إخوته وأخواته مجتمعين في الصالة الكبيرة وهو يطل عليهم من الشراعة في حجرته العليا والحبل يطوق رقبته فقلت له أنت مؤمن والمؤمن لا ينتحر فقال لي: لقد سدت النوافذ في وجهي إذا قلت لهم تحركوا لا يتحركون وأعلنت عن رغبتي في أن أموت شهيداً فمنعوني من الخروج فلم يبق لي إلا هذا فقلت لهم دعوه وشأنه فالاستشهاد خير مليون مرة من الانتحار.

حلم 191

قال لي الدكتور "م" إنه يرغب في الزواج من "ع" ولما كنت جاراً لها وصديقاً لإخوتها فأنا خير من يحدثه عنها وأنا أحب "ع" بدون أدنى أمل فتماسكت وقلت له أما عن جمالها فقاطعني دع هذا فهو في متناول عيني وحدثني عن الأمور الأخرى فقلت له: إنها في كمالها لا تقل عن جمالها فقبلني في رأسي ووجدتني في بهو يموج بالكثير من رموز المجتمع وفيه غناء ورقص فسمعت وشاهدت وتوقع قلبي الضربة القاضية.

حلم 192

هذه حديقة الحرية التي تروى أزهارها بدموع العاشقين وأنا أتجول في جنباتها بين آهات الحب وهتاف المناضلين وقد عاهدت نفسي على أن أزود النسيان عن الحب والنضال.

حلم 193

هذه هضبة الأهرام وهذا هو سير ريدر هجارد فهرعت إليه ورحبت به وقلت له إنه كان فردوس طفولتي وصباي برواياته الفاتنة عن عائشة وكليوباترا وصلاح الدين وكنوز الملك سليمان، ثم سألته عن كنوز الملك ألها أصل في الواقع أم أنها من صنع الخيال وحده؟ فرأيتني أسير إلى جانبه في غابة إفريقية وفي موضع منها أخرج من جيبه مفتاحاً وانحنى حتى غاب في الحشائش وإذا بباب ينفتح عن معرض طويل عريض ملئ بالجواهر وسقطت أشعة الشمس على سبائك الذهب فانعكست نوراً أضاء لي عالم الغيب.

حلم 194

من أمواج الضياء انبثق المرحوم صديقي "ط" فسلمت عليه وقلت له إنه مات فلا نشر له نعي أو أقيم له عزاء مناسب وجاء العمال وأقاموا السرادق ولكن لم يحضر أحد للعزاء ولا جاء المقرئ فصعد صديقي إلى أريكة وتلا بصوت عذب سورة الرحمن.

حلم 195

أعددت المائدة الصغيرة بما لذ وطاب ولما دقّ الجرس فتحت الباب اندفعت صديقتي إلى الكنبة، وما لبثت أن مال رأسها على المسند واسترخت ذراعاها فهرعت إليها وربت خديها وجسست رسغيها ثم قلت بفزع يا إلهي إنها ميتة وتخايل لعيني شبح الفضيحة والجريمة ولكني حملتها بذراعي وسرت إلى المطبخ وألقيتها من النافذة المطلة على فناء المنزل ووقفت أرتجف من رأسي إلى قدمي، وفي ضحى اليوم التالي وجدتني واقفاً مع بعض السكان وصاحب البيت يحدثنا عن الست التي نقلت إلى المستشفى فقلت إنها ميتة، فقال: كلا والطبيب قال لي: إن الأمل كبير في إنقاذها والنيابة تنتظر اللحظة المناسبة للتحقيق، فعاد يتخايل لعيني شبح الفضيحة والجريمة.

حلم 196

دعانا أستاذنا للغداء وبعد تناول الطعام جلسنا حوله نطرح الأسئلة ونناقش الأجوبة وإذا بالشرطة تقتحم المنزل وتسوقنا إلى المعتقل، حيث مكثنا ستة أشهر دون محاكمة ثم أفرج عنا دون أن نعلم السبب الذي اعتقلنا من أجله وحتى اليوم كلما تذكرت عذاب المعتقل تساءلت عن السبب الذي من أجله اعتقلنا.

حلم 197

بيوتنا تقع على حافة الصحراء وكل بيت له فناء نضع فيه زيراً للمياه العذبة فيدخل العطشان يروي ظمأه ويدعو لنا. ويوماً اندست عصابة بين الداخلين وهاجمت بيتاً فقتلت وسرقت وهربت فأغلقنا الأبواب ولكن علمنا أنهم يحفرون نفقاً للوصول إلينا وعند إحدى الحفريات تفجر ينبوع ماء وتدفق حتى غطى الصحراء وبشر بالخير العميم وهتف حكيم بيننا أن افتحوا الأبواب وانعموا بحسن الجوار.

حلم 198

كلفني المنتج السينمائي بكتابة قصة كوميدية فتصورت مدينة يكافح أهلها في سبيل لقمة العيش ويشقون بما بينهم من خصومات ويعانون الأمراض والحوادث ثم يجئ بعد ذلك زلزال مدمر فيقضي على البقية الباقية منهم ويمحو من الوجود ذكرياتهم فكأنهم لم يوجدوا فضحك المنتج وقال حقا إنك فارس الكوميديا.

حلم 199

رأيتني أتجول في حديقة الحيوان مع صديقة ثم جلسنا في ركن خال بجزيرة الشاي وكلما ترامى إلينا زئير وخوار أو عواء ازددنا التصاقاً حتى ذبنا ذوباناً!

حلم 200

قال لي صديقي "ص" إن قوانين الإصلاح الزراعي أصابت والده بانهيار في وعيه وهو يريد مقابلة وزير المالية وأنا اخترتك لتمثل دور الوزير بوصفك أعز أصدقائي ووجدت الإقطاعي الكبير في حال يرثى لها

واستقبلني قائلاً يا معالي الباشا هل حقا ستصادرون أراضينا فنفيت ذلك كلية وقلت له إن هي إلا شائعة

أطلقناها لكسب قلوب الناس وعندما خرجنا من السراى شكرنى صديقى وهو يجفف دموعه فقلت له مواسياً: إن كل تقدم فى المجتمع يقتضى ثمناً ولا تنس أنك كنت من دعاة الاشتراكية فقال بحدة: إن الكتابة شيء والتطبيق الفعلى شئ آخر.

حلم 201

ياله من بهو عظيم يتلألا نوراً ويتألق زخارف وألواناً وجدتنى فيه مع إخوانى وأخواتى وأعمامى وأخوالى وأبنائهم وبناتهم ثم جاء أصدقاء الجمالية وأصدقاء العباسية والحرافيش وراحوا يغنون ويضحكون حتى بحت حناجرهم ويرقصون حتى كلت أقدامهم ويتحابون حتى ذابت قلوبهم والآن جميعهم يرقدون فى مقابرهم مخلفين وراءهم صمتا ونذيرا بالنسيان وسبحان من له الدوام.

حلم 202

تأبطت الجميلة الشابة ذراعى ووقفنا أمام بياع الكتب الذى يفرش الأرض بكتبه ورأيت كتبى التى تشغل مساحة كبيرة وتناولت كتاباً وقلبت غلافه ففوجئت بأننى لم أجد سوى ورق أبيض فتناولت كتابا آخر وهكذا جميع الكتب لم يبق منها شئ واسترقت النظر إلى فتاتى فرأيتها تنظر إلىّ برثاء.

حلم 203

رأيتنى أقرأ كتاباً وإذا بسكارى رأس المنة يرمون قواريرهم الفارغة فتطايرت شظايا وينذروننى بالويل فجريت إلى أقرب قسم شرطة ولكنى وجدت الشرطة منهمكة فى حفظ الأمن العام فجريت إلى فتوة الحى القديم وقبل أن أنتهى من شكواى هب هو ورجاله وانقضوا على الخمَّارة التى يشرب فيها المجرمون وانهالوا عليهم بالعصى حتى استغاثوا بى.

حلم 204

رأيتنى مديراً لشئون السينما وجاءتنى الفنانة "ف" تطلب إعفاءها من العمل مع الممثل "أ" فانزعجت وقلت لها إن هذا سيغير الخطة كلها، ولكنها أصرت على موقفها ثم جاءنى الممثل "أ" وطلب منى الضغط عليها فاعتذرت، وراحت هى تقول للوسط الفنى إننى أضغط عليها لتعمل مع الممثل "أ" صديقى على رغم إرادتها وراح يقول إننى سهلت لها التحرر من العمل لغرض فى نفسى فلعنت اليوم الذى توليت فيه هذا المنصب.

حلم 205

رأيتنى أشاهد دورية من الجنود الأجانب فضربتها بحجر وصعدت إلى السطح وعبرت إلى سطح الجيران وهبطت السلم لأهرب من باب البيت فوجدته مسدوداً بجنود شاهرى السلاح.

حلم 206

رأيتنى أعد المائدة والمدعوون فى الحجرة المجاورة تأتينى أصواتهم أصوات أمى وإخواتى وأخوانى، وفى الانتظار سرقنى النوم ثم صحوت فاقدا الصبر فهرعت إلى الحجرة المجاورة لأدعوهم فوجدتها خالية تماماً

وغارقة فى الصمت وأصابنى الفزع دقيقة ثم استيقظت ذاكرتى فتذكرت أنهم جميعاً رحلوا إلى جوار ربهم وأننى شيعت جنازتهم واحداً بعد الآخر.

حلم 207

جلجل الهتاف بالانتخابات فسرت النشوة فى قلب المطرب الشعبى وصاح مرشحاً نفسه فأقبلت عليه الجماهير حتى رفعوه على الأكتاف لنجاحه وطلبوا منه الكلمة فوقف على المنصة وعزف بالربابة وغنى:

حلو يا زين يا صعيدى

اسمك منقوش على إيدى

حلم 208

نجح الأستاذ "ل" فى الانتخابات فذهب إلى أسرته وقال إنه لايشرفه الانتماء لهؤلاء القوم وأنه ينوى الاستقالة فقالت له سيدة: الاستقالة معناها العداوة وسوف ينكّلون بك وبنا فافرح أو تظاهر بالفرح وألق كلمتك فوقف "ل" على المنصة وقال: إن تاريخ مصر يظهر بظهوركم على المسرح وما قبل ذلك فظلام فى ظلام.

حلم 209

وجدتنى مع صديقى "ت" فى حجرة بالفندق واقتحمها علينا بعض الجنود وساقونا لنقف أمام ضابط أجنبى الذى سأل صديقى: لماذا لم يجند؟ فأجاب: لأنه يرفض الحرب، فأمر بتجنيده وقال لى: إلزم الحجرة فقد تقتضى الظروف تجنيدك رغم شيخوختك!

خاتمة

... كأنّ كفا حانية لمست خلف كتفى اليمنى مسّا رقيقا أحاطنى حتى امتلأتُ به، لم أحاول أن ألتفت نحوها خشية أن تتراجع، امتدت يدى اليسرى إلى كتفى الأيمن لأطمئن أننى لا أحلم، أرجعتها بسرعة حرصا على استمرار ما هو، الرضا يتسحب إلىّ يملؤنى أرحب وأعمق، تغمرنى نشوة مختلفه، أفرح بأنى لم أشعر بمثلها من قبل، أجدنى فى الحجرة المعدة لذلك ، لست متأكدا هل كانت حجرة مستديرة بلا جدران، أم كان فضاء دائريا على بساط أخضر يانع، ترتفع بى الأرض وهى تتمايل فى دلال، ابتعد عنها طائرا سابحا راقصا فى نور ليس كمثله شيء، تحيطنى الأنغام وهى تزحف إلى أعماقى فى رقة حانية حتى صرتُ نغما خالصا، دون أن أختفى،

ثم إنى ....!! ما هذا ..؟

ما كل هذا؟ ما أجمل كل هذا..، بلا أول ولا آخر، ...ماذا.....؟

نعم ؟؟!!

حاااضر!